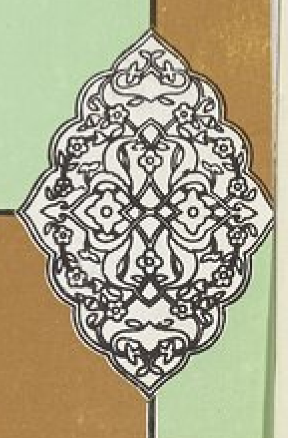



Princeton University Library
32101 059527497

العلامة السيد محمد تقي المدرسي

الإمام السجاد عليه السلام

قُدوَة وأُسْوَة



الامام السجاد عليه السلام

قُدْوَةٌ وَأُسْوَة

اسم الكتاب : الامام السجاد(ع) قدوة واسوة

المؤلف : العلامة السيد محمد تقي المدرسي

الناشر : مكتب العلامة المدرسي

عدد النسخ : ٣,٠٠٠

الطبعة : الاول شوال ١٤١٠

الثمن : ٤٠٠ ريال



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنا أقرأ حياة الامام السجاد حاولت ان ارسم في ذهني صورة متكاملة عن شخصيته، وما كدت انتهي من ذلك حتى تذكرت آيات الذكر التي ترسم صورة عباد الله الصالحين.

عندما نتدبر في تلك الآيات يوسوس الشيطان في انفسنا .. هل انها تحدثنا عن بشر أمثالنا ام عن ملائكة خلقوا من نور قدرة الله ؟ أم انها روائع أدبية ؟ حاشا لله ان تكون في كلمات الله ذرة من المبالغة اوليست المبالغة كذباً ؟ والكذب من الباطل الذي لا يأتي كتاب الله ؟ فما هي الحقيقة ؟ نعرف الحقيقة تماماً حينما نتلو قصص الأنبياء .والائمة نعرف ان تمثيل تلك الصورة المشرقة التي تعكسها الآيات عن

حياة عباد الله الابرار انه حقيقة واقعة . ونحن مدعون لأتباعهم فيها .. وفي هذا بالذات تكمن حكمة الولاية حيث امرنا الله ان نبتغي الوسيلة اليه سبحانه عبر ولاية اوليائه . وان نطلب منه الهدى كما هدى الذين انعم عليهم وان نركع مع الراكعين. ونكون مع الصادقين ونرجو الالتحاق بركب الصالحين .

ان ولاية اولياء الله تجعلنا نتلمس سيرة حياتهم الوضيئة، وحين نتعرف عن كثب عليهم نتحصن ضد وساوس الشيطان الذي يوحي الى اوليائه ان تمثيل صفات القرآن هذه مستحيل او انها انما ذكرت تشجيعاً أو هي روائع ادبية بليغة.

ان هذا الوسواس اعظم مكائد الشيطان في اغواء البشر عن معارج الكمال الالهي .. ولا يقضي عليه شيء مثل دراسة حياة الانبياء والائمة والصديقين باعتبارهم بشراً امثالنا انعم الله عليهم ورفعهم اليه مقاما محمودا .

ومنذ ثلاث وعشرين عاماً أنعم الله عليّ بالتأليف عن حياة الائمة الهداة، عبر مناسبات نادرة. لذلك لم اوفق لاكمال سلسلة قدوة واسوة .. حول النبي واهل بيته الكرام.

واليوم حيث وفقني الله لكتابة تدبراتي في القرآن والتي سميتها (من هدى القرآن)، اعود الى هذه السلسلة عسى الله ان يوفقني هذه

المرة لا تمامها . ولكن كنت اتساءل: ماذا اسمي هذه السلسلة التي بقيت منها أربعة من اصل ١٤، واخيراً وقعت على اسم مناسب انتهيت اليه خلال قراءة زيارة الجامعة وهو.. اعلام الهدى .. وحيث ان القرآن هدى للمتقين وحياة الائمة تمثيل للقرآن جاء الاسم مناسباً لذلك كما وتناغم مع اسم كتابي (من هدى القرآن) ولكن ازدادت حيرتي عندما وقفت على شاطىء بحر زخار ماذا اغترف منه واقدمه للاخوة القراء وقد كتبت من المذكرات حول حياة الامام عليه السلام ما تكفي لكتابة مجلد كبير بيد اني حكمت على نفسي بالكتابة المختصرة، وهنا يكمن سبب حيرتي ماذا اختار من حياته التى لا يتسع قلم مثلي لاستيعابها .

وهكذا استميحكم عذراً لو وجدتم قصوراً أو تقصيراً واسعين في الحديث عن حياته الكريمة . واعتبروا هذه الدفاتر مدخلاً الى الكتب المفصلة عن حياته .

اسأل الله ان يوفقني لذلك وان يحفظ عملي من شوائب الرياء والسمعة والاشر والبطر و يتقبله و يحصنه من الأحباط بالعجب والذنب انه ولي التوفيق .

طهران

محمد تقي المدرسي

الفصل الاول

تتملكنا الدهشة عندما نستمع إلى الوحي يأمرنا بالولاية، ونتساءل : ما هذا التأكيد المتواصل، ما هذه التعابير البالغة أمراً وتحريضاً وترغيباً ؟

يقول ربنا سبحانه :

«واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم»

وتتكرر أوامر القرآن بالطاعة لأولي الامر الشرعيين والتسليم لأمرهم، والنهي عن طاعة الطغاة والجبابرة وضرورة الكفر بهم أكثر من مائة مرة، بصيغ مختلفة وضمن سياقات شتى كلها تهدف ترويض النفس البشرية على الطاعة والإنضباط ..

و يقول ربنا سبحانه :

«فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت

ويسلموا تسليما»(١)

وتتواصل آيات الذكر لتؤكد على الرجوع الى الله ورسوله عشرات المرات و بتعابير شتى .

و يقول ربنا :

«ألم تر الى الذين يزعمون انهم أمنوا بما أُنزل اليك ، وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به و يريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا»(٢)

وهكذا العديد من الآيات تنهى و بشدة بالغة من التحاكم الى الطاغوت وتأمر باجتنابه .

و يقول ربنا سبحانه وهوينهي مئات المرات عن الشرك و يعتبره ظلماً عظيماً لا يغفره الله أبداً يقول :

«وإذ تأذّن ربك لئن اشركت ليحبطن عملك»

فما هو الشرك ، أليس عبادة الاصنام شركاً ؟ اليس اتخاذ الارباب

---

(١) النساء / ٦٥ .

(٢) النساء / ٦٠ .

من دون الله شركاً كما اتخذ اليهود والنصارى الأحبار والرهبان ارباباً ؟

وهكذا نجد ان الولاية الالهية محور آيات الذكر وروح توحيد الله، والسبيل الى رضوانه، والطريق الى جناته .

لماذا كل ذلك ؟ ان شرح حكمة ذلك يقتضي كتباً مفصلة ولكننا نختصرها في كلمات نرجوان يسعفنا فيها تدبر القارىء الكريم، وافاق ثقافته الاسلامية .

اولا : امام الانسان سبيلان سبيل الله الذي يهديه الى الجنة والرضوان وسبيل الشيطان الذي يحمله الى سواء الجحيم . يتجه كل سبيل الى جهة، ولكل جهة امام ولكل امام صفات واسماء، ولكل امة تابعة صبغة وشرعة ومنهاج !

والصراع الأبدي الذي لا هدنة فيه ولا مداهنة ولا حلول وسط، انه الصراع بين سبيل الله وسُبُل الشيطان .

وقال سبحانه :

«يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير * قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . ويخرجهم

من الظلمات الى النور بأذنه و يهديهم الى صراط مستقيم»(١).

وولاية الله، وتولي اوليائه واتباع الامام المختار من عنده، والانخراط في حزب الصالحين انه لا ريب الولاية الالهية فكيف لا تتواصى بها رسالات الله ورسله واوصياؤهم .

ثانيا : حكمة وجود الانسان فوق هذا الكوكب ابتلاؤه ليعلم هل يصدق ام هو من الكاذبين ؟ هل يخلص ام يكون من المنافقين ؟ ولا يبتلى البشر بشيء كما يبتلى باتباع القيادة الالهية ورفض جبابرة المال وطغاة السلطة اوتدري لماذا ؟

ان في ضمير الانسان كبراً لابد ان يتغلب عليه حتى يصبح من اهل الجنة ، وان لم يتخلص منه باجتهاده وجهاده في الدنيا فانه سوف يخلص منه بنار الجحيم في الآخرة، لانه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر، ومحتوى الكبر النزعة السخيفة نحو ادعاء الربوبية ولو تسنى لاي انسان ما تسنى لفرعون لما امتنع عما قاله : «انا ربكم الاعلى» .

وانما يتطهر القلب عن الكبر اذا أُمر بطاعة من ليس بأكثر منه مالاً

---

(١) المائدة / ١٦/١٥ .

وولداً ، إطاعته بسبب امر الله، وهكذا كانت الفتنة الكبرى للناس عند ابتعاث الرسل إذ كيف يطيعون بشراً من امثالهم وقد حكى الله عنهم بقوله :

«أبشراً منا واحداً نتبعه إنّا إذاً لفي ضلال وسُعُر»(١)

و يتساءل البسطاء : لماذا امتحن الله خلقه بطاعة الانبياء و أوصيائهم وقد اختارهم من اوساط الناس و يمضي المتساءل قائلاً اولم يكن من الافضل ان يزودهم الله بقوى خارقة و بأموال و بنين حتى تسهل طاعة الناس لهم ؟

كلا .. لأنه عندئذ كانت تبطل حكمة الابتلاء ولم تكن تصبح طاعتهم تطهيراً للنفوس من الكبر و بالتالي لم يكن المطيعون لهم يزكون بذلك اعداداً لدخول الجنة التي هي مأوى عباد الله الخالصين من دنس الشرك والكبر.

هكذا يبين هذه الحكمة امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام اذ يقول :

«ولو أراد الله أنْ يخلق ادم من نور يخطف الابصار

---

(١) القمر/ ٢٤ .

ضياؤه، ويبهر العقول رداؤه، وطيب يأخذ الأنفاس عرفه لفعل، ولو فعل لظلت له الاعناق خاضعة، ولخفّت البلوى فيه على الملائكة، ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون اصله، تمييزاً بالاختبار لهم، ونفياً للاستكبار عنهم، وابعاداً للخيلاء منهم»(١)

ويضيف الامام في ذات السياق قائلاً :

«ولو اراد الله سبحانه لأنبيائه ـ حيث بعثهم ـ ان يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان، ومفارس الجنان، وأنْ يحشر معهم طيور السماء ووحوش الارض لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلت الابناء، ولما وجب للقابلين أجور المبتلين، ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمت الاسماء معانيها، ولكن الله سبحانه جعل رسله اولي قوة في عزائمهم وضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأبصار والاسماع أذىً»(٢)

---

(١) نهج البلاغة (المعجم المفهرس ص ٦٨) .

(٢) المصدر ص ٧٠ .

وبعد بيان مفصل حول حكمة الاختبار في فصل زخارف الدنيا عن اولياء الله يقول :

«ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره اخراجاً للتكبر من قلوبهم، واسكاناً للتذلل في نفوسهم.
فالله الله في عاجل البغي واجل وخامة الظلم وسوء عاقبة الكبر، فانها مصيبة ابليس العظمى، ومكيدته الكبرى التي شاورو قلوب الرجال مشاورة السموم القاتلة»(١)

وهكذا حرّض الوحي على التسليم للأنبياء وأولي الأمر من خاصتهم وجعل فيه ثواباً عظيماً، وجاء في حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله :

«إنّ أوثق عرى الإيمان : الحب في الله، والبغض في الله، وتوالي أولياء الله، وتعادي عدو الله»(٢)

وروي عن الامام زين العابدين عليه السلام :

---

(١) المصدر ص ٧٠ .
(٢) بحار الانوار ج ٢٧ ص ٥٧ .

«من احبنا لا لدنيا يصيبها منا، وعاد عدونا لا لشحناء كانت بينه وبينه، أتى الله يوم القيامة مع محمد وإبراهيم وعلي»(١)

وكما يتحدى الانسان بالولاية نزعة الكبر وادعاء الربوبية في ذاته يتحدى بها نزعة الطمع وشهوات الدنيا، لان من يطيع اولياء الله يحاربه طغاة الارض والمترفون في الدنيا بشتى وسائل الحرب بالدعاية المضادة وبالتضييق الاقتصادي، وبالاذى الجسدي وحتى بالتشريد والقتل.

ولان الولاية كانت امتحانا عظيماً للانسان جعلت شرطاً بقبول الاعمال، حيث ان هدف سائر الطاعات تذليل النفس البشرية المتفرعنة والمتجبرة، تذليلها لطاعة ربها. وتطهيرها من عبودية الله عن دنس الكبر والشرك والشك ـ وهذا الهدف يبلغ قمته بالولاية، حيث يخضع البشر لبشر مثله لا يتميز عنه بقوة خارقة، ولا ثروة عريضة وانما يأمره الله بذلك، وهذا ما تأباه النفس اشد الاباء وقد سأل بعضهم عذاب الله الواقع لكي لا يؤمن بالولاية.

دعنا نقرء معاً أحاديث في فضل الولاية لنعرف مدى فضلها وكيف أنها قطب الرحى في تعاليم الوحي.

---

(١) المصدر ص ٥٦.

جاء في حديثٍ مفصلٍ عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في إجابته لأسئلة زنديق :

«إنّ الإيمان قد يكون على وجهين، ايمان بالقلب، وايمان باللسان كما كان ايمان المنافقين على عهد رسول الله (ص) لما قهرهم السيف وشملهم الخوف، فأنهم امنوا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم، فالايمان بالقلب هو التسليم للرب، ومن سلّم الامور لمالكها لم يستكبر عن امره ـ كما استكبر ابليس عن السجود لادم، واستكبر اكثر الامم عن طاعة انبيائهم، فلم ينفعهم التوحيد، كما لم ينفع ابليس ذلك السجود الطويل، فانه سجد سجدة واحدة أربعة الاف عام، لم يرد بها غير زخرف الدنيا، والتمكين من النظرة، فلذلك لا تنفع الصلاة والصدقة إلا مع الاهتداء الى سبيل النجاة وطريق الحق»(١).

ولذلك لم يقبل الله طاعة عبد لم يقبل الولاية انى اجتهد فيها، هكذا جاء في الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام عن ابائه عليهم السلام.

«مرّ موسى بن عمران برجل رافع يده الى السماء

---

(١) المصدر ص ٧٥ .

يدعو فانطلق موسى في حاجته فغاب عنه سبعة ايام، ثم رجع اليه وهو رافع يديه يدعو ويتضرع ويسأل حاجته، فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى لو دعاني حتى يسقط لسانه ما استجبتُ له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به»(١)

ولاية الانسان صبغة اعماله ان خيراً فخير وان شراً فشر، لذلك جاء في الحديث المأثور عن رسول الله ــ فيما رواه أبو سعيد الخدري:

«لو أنّ عبداً عبد الله الف عام ما بين الركن والمقام، ثم ذبح كما يذبح الكبش مظلوما لبعثه الله مع النفر الذين يقتدي بهم، ويهتدي بهداهم، ويسير بسيرتهم إن جنة فجنة وإن ناراً فنار» (٢)

وهكذا الولاية تكون وجهة المجتمع وعليها يكون الحساب والجزاء فقد روي عن الامام علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل قال:

«وعزتي وجلالي لأعذبن كل رعية في الاسلام دانت بولاية امام جائر ليس من الله عز وجل، وان

---

(١) اي باب الطاعة للنبي واوصيائه المصدر ص ١٨٠.
(٢) المصدر ص ١٨٠.

كانت الرعية في اعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية دانت بولاية امام عادل من الله تعالى وان كانت الرعية في اعمالها طالحة مسيئة»(١)

ضمن اطار الولاية الالهية لابد ان نعرف شخصية الامام السجاد عليه السلام وابعاد حياته، انه لم يكن سائر الانبياء والائمة ولا يكون خلفاؤهم من الصديقيين والعلماء الربانيين طلاب حكم وسيطرة، او قادة حركات سياسية كالتي نفهمها، بلى أنهم سعوا جاهدين من اجل تطهير قلوب الناس من الجبت ومجتمعاتهم من الطاغوت ولكن ذلك لم يكن حكمة حياتهم الاولى حتى نقول: انهم قد فشلوا في تحقيق ذلك

انما كانت الحكمة الاولى ابتلاء الناس، حيث قاموا ـ بتلاوة وحي الله و بتعليم الناس وتزكيتهم وقد قال ربنا سبحانه:

«هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم اياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين»

بلى. كان من الاهداف السامية لبعثة الرسل، ونهضة أوصيائهم، وقيام أوليائهم، إعداد الناس للقيام بالقسط. لا أقول قيامهم بالقسط بين

(١) المصدرص ٢٠١.

الـنـاس، لان ذلـك يـوحي بالوكالة في ذلك وهذا ما ينفيه الوحي ببلاغة نافذة استمع الى قول ربك العزيز:

«لـقد ارسلنا رُسلنا بالبينات، وانزلنا معهم الكتاب والـمـيزان ليقوم الناس بالقسط، وانزلنا الحديد فيه بأس شـديد، ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب؛ ان الله قوي عزيز»(١).

• الامام السجاد وريث الانبياء

ولان الامـام زيـن الـعـابـدين ــ عليه السلام ــ ورث عن جده النبي الـمـصـطـفـى ــ عـلـيـه وآلـه الـصلاة ــ دور الانبياء فان الحكمة الاولى لامـامـتـه هي ذات الحكمة الاولى في رسالة الانبيـاء، ابتلاء الناس بعد دعـوتـهـم الـى الله وكانت سائر الاهداف السامية كاقامة القسط ونصرة المظلومين في امتداد تلك الحكمة اي انها تتفرع عليها وتأتي بعدها.

ولقد تسنى لسائر ائمة الهدى ــ عليهم السلام ــ الظروف للقيام بتلك الاهـداف الـمـتـدرجـة و بالذات الهدف السياسي كما فعل الامام علي عـلـيـه الـسـلام عندما نهض باعباء الحرب ضد قريش مرتين مره في عهد الـنـبـي وتحت لواءه. ومرة بعد النبي وتحت لواء الرسالة الحنفية و برفقة

---

(١) سورة الحديد / ٢٥.

اصحاب النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ وهكذا نجله الامام الحسن حيث نهض هو الاخر باعباء الحرب ضد معاو ية، ثم اوقف الحرب لمصلحة المسلمين وكذلك الامام الحسين ـ عليه السلام ـ حيث قاوم معاو ية بالسبل السلمية، وقام ضد ابنه يزيد بالسيف حتى استشهد مظلوما.

وهكذا قام سائر الائمة بأدوار سياسية لوسائل غير مباشرة و بدرجات مختلفة.

بينما الظروف العامة كانت تناسب تمخض الامام السجاد ـ عليه السلام ـ تقريباً في الدعوة الربانية حسبما نبين ذلك في مناسبة اخرى انشاء الله..

و بذلك كانت حياة الامام السجاد قطعة مشرقة بنور ربه، كانت تجلياً باهراً للايمان الخالص بالله، للهيام الشديد بالله، للعبادة والتبتل.

وحينما نقرأ معاً صفات الإمام على لسان نجله الامام الباقر ـ عليه السلام ـ نعرف ماذا تعني ولاية الله، وولاية أوليائه، ولماذا التأكيد عليها، وكيف كانت حياة السجاد شلال نور الهي، يقول نجله الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ:

«كان علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ يصلي

في اليوم والليلة الف ركعة، كما كان يفعل امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ كانت له خمسمائة نخلة. فكان يصلي عند كل نخلة ركعتين، وكان اذا قام في صلاته غشي لونه لون اخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عز وجل، وكان يصلي صلاة مودّع يرى انه لا يصلي بعدها أبداً، ولقد صلى ذات يوم فسقط الرداء عن احد منكبيه فلم يسوّه حتى فرغ من صلاته، فسأله بعض اصحابه عن ذلك، فقال: ويحك أتدري بين يدي من كنت؟ إنَّ العبد لا تقبل من صلاته إلّا ما أقبل عليه منها بقلبه، فقال الرجل: هلكنا، فقال: كلاّ.. إنّ الله عز وجل متمم ذلك بالنوافل، وكان ـ عليه السلام ـ ليخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره، وفيه الصرر من الدنانير والدراهم وربما حمل على ظهره الطعام او الحطب حتى يأتي باباً باباً فيقرعه، ثم يناول من يخرج اليه وكان يغطي وجهه اذا ناول فقيراً لئلا يعرفه فلما توفي ـ عليه السلام ـ فقدوا ذلك، فعلموا انه كان علي بن الحسين ـ عليه

السلام ـ، ولما وضع ـ عليه السلام ـ على المغتسل نظروا الى ظهره وعليه مثل ركب الابل، مما كان يحمل على ظهره الى منازل الفقراء والمساكين ولقد خرج ذات يوم وعليه مطرف خز فتعرض له سائل فتعلّق بالمطرف فمضى وتركه، وكان يشتري الخز في الشتاء اذا جاء الصيف باعه فتصدق بثمنه، ولقد نظر ـ عليه السلام ـ يوم عرفه الى قوم يسألون الناس فقال: ويحكم أغير الله تسألون في مثل هذا اليوم، إنّه ليرجى في هذا اليوم لما في بطون الحبالى أنْ يكون سعيداً؟ ولقد كان ـ عليه السلام ـ يأبى أن يواكل أُمه، فقيل له: يا ابن رسول الله أنت ابر الناس وأوصلهم للرحم فكيف لا تواكل امك؟ فقال: إني أكره أنْ تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليه، ولقد قال له رجل: يا ابن رسول الله إني لأحبك في الله حبّاً شديداً، فقال: اللهم إني اعوذ بك ان أُحبَّ فيك وأنت لي مبغض، ولقد حج على ناقة له عشرين حجة فما قرعها بسوط، فلما نفقت(١) أمر بدفنها لئلا يأكلها السباع، ولقد

(١) نفقت الدابة ماتت (القاموس).

سئلت عنه مولاة له فقالت: أطنب واختصر؟ فقيل لها: بل اختصري، فقالت: ما أتيته بطعام نهاراً قط، وما فرشت له فراشاً بليلٍ قط، ولقد انتهى ذات يوم إلى قوم يغتابونه فوقف عليهم، فقال لهم، ان كنتم صادقين فغفر الله لي، وان كنتم كاذبين فغفر الله لكم، وكان ـ عليه السلام ـ إذا جاءه طالب علم فقال: مرحباً بوصية رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ، ثم يقول: ان طالب العلم اذا خرج من منزله لم يضع رجليه على رطب ولا يابس من الارض الا سبحت له الى الارضين السابعة، ولقد كان يعول مائة اهل بيت من فقراء المدينة، وكان يعجبه ان يحضر طعامه اليتامى والأضرار والزّمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، ومن كان منهم عيال حمل له الى عياله من طعامه، وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدق بمثله، ولقد كان تسقط منه كل سنة سبع ثفنات من مواضع سجوده لكثرة صلاته وكان يجمعها فلما مات دفنت معه، ولقد بكى على أبيه الحسين ـ عليه السلام ـ عشرين سنة وما وضع بين يديه طعام الا بكى حتى قال له

مولى له: يا ابن رسول الله أما آن لحزنك ان ينقضي؟ فقال له: ويحك ان يعقوب النبي ـ عليه السلام ـ كان له اثني عشر ابنا فغيّب الله عنه واحداً منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حياً في الدنيا، وانا نظرت الى ابي واخي وعمي وسبعة عشر من اهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني ؟!»(١)

وقد زخرت كتب التاريخ بكرامات الإمام(٢) ولا عجب. ان اماما هذه صفاته، يكرمه الله بفضله اولم يكرم الله عباده الصالحين باستجابة دعواتهم ؟

وقد قال سبحانه :

«وقال ربكم ادعوني استجب لكم»(٣)

فكيف لا يستجيب لمن ذاب في حب ربه حتى خشي عليه الهلاك من شدة العبادة، تعالوا نقرأ معاً الرواية التالية ثم نقيسها بما نعرفه من

---

(١) بحار الأنوار/ ص ٦٣/٦١ .

(٢) سوف نذكر بعضا منها في خاتمة الكتاب . .

(٣) غافر/ ٦٠ .

قصص القرآن حول الصالحين من عباد الله نرى انهما نبعان من عين واحدة.

ابراهيم بن ادهم وفتح الموصلي قال كل واحد منهما : كنت اسيح في البادية مع القافلة، فعرضت لي حاجة فتنحيت عن القافلة، فاذا انا بصبي يمشي فقلت : سبحان الله بادية بيداء وصبي يمشي، فدنوت منه وسلّمت عليه فردّ عليّ السلام فقلت له : الى اين ؟ قال : **اريد بيت ربي**، فقلت : حبيبي انك صغير ليس عليك فرض ولا سنة، فقال : **يا شيخ ما رأيت من هو اصغر سنّاً مني مات ؟!!** فقلت : اين الزاد والراحلة ؟ فقال : **زادي تقواي، وراحلتي رجلاي، وقصدي مولاي**، فقلتُ : ما أرى شيئاً من الطعام معك ؟ فقال : **يا شيخ هل يستحسن ان يدعوك انسانا الى دعوة فتحمل من بيتك الطعام؟** قلت : لا، قال : **الذي دعاني الى بيته هو يطعمني و يسقيني**، فقلت : ارفع رجلك حتى تدرك (*) فقال : **علي الجهاد وعليه الابلاغ اما سمعت قوله تعالى :**

«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين»(١)

قال : فبينما نحن كذلك اذ اقبل شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض

(*) يعني ارفع رجلك ــ أو رحلك ــ عن المركون، واركب مطيتي حتى تدرك الحج..

(١) سورة العنكبوت / ٦٩.

حسنة فعانق الصبي وسلّم عليه، فاقبلت على الشاب وقلت له: أسألك بالذي حسن خلقك من هذا الصبي؟ فقال: أما تعرفه؟ هذا علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب فتركت الشاب واقبلت على الصبي، وقلت: اسألك بآبائك من هذا الشاب؟ فقال: **اما تعرفه؟ هذا اخي الخضر يأتينا كل يوم فيسلم علينا**، فقلت: اسألك بحق ابائك لما اخبرتني بما تجوز المفاوز بلا زاد؟ قال: **بل اجوز بزاد، وزادي فيها أربعة اشياء**، قلت: وما هي؟ قال: **أرى الدنيا كلها بحذافيرها مملكة الله، وأرى الخلق كلهم عبيد الله وإماءه وعياله، وأرى الاسباب والارزاق بيد الله، وأرى قضاء الله نافذاً في كل ارض الله**، فقلت: نعم الزاد زادك يا زين العابدين، وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة، فكيف مفاوز الدنيا؟(١)

وقصة مشابهة يرويها حماد بن حبيب الكوفي القطان فيقول:

انقطعت عن القافلة عند زبالة(٥) فلما اجنني الليل أويت الى شجرة عالية، فلما اختلط الظلام إذا انا بشاب قد اقبل عليه أطمار بيض يفوح منه رائحة المسك، فاخفيت نفسي ما استطعت، فتهيأ للصلاة، ثم وثب قائماً وهو يقول: يا من حاز كل شيء ملكوتاً، وقهر كل شيء جبروتاً، اولج قلبي فرح الاقبال عليك، والحقني بميدان المطيعين لك،

---

(١) قصة ابراهيم ــ بحار الأنوار ٣/ج ٤٦ زبالة: اسم موضع بطريق مكة.

ثم دخل في الصلاة فلما رأيته وقد هدأت اعضاؤه، وسكنت حركاته، قمت الى الموضع الذي تهيأ فيه الى الصلاة، فاذا انا بعين تنبع فتهيأت للصلاة، ثم قمت خلفه، فاذا بمحراب كأنه مثل في ذلك الوقت فرأيته كلما مر بالآية التي فيها الوعد والوعيد يرددها بانتحاب وحنين، فلما ان تقشع الظلام وثب قائماً وهو يقول: يامن قصده الضالون فاصابوه مرشداً، وأمّه الخائفون فوجدوه معقلاً ولجأ اليه العابدون فوجدوه موئلاً، متى راحة من نصب لغيرك بدنه، ومتى فرح من قصد سواك بنيته، الهي قد تقشّع الظلام ولم اقض من خدمتك وطراً، ولا من حياض مناجاتك صدراً، صل على محمد واله وافعل بي اولى الامرين بك يا ارحم الراحمين، فخفت ان يفوتني شخصه وان يخفي علي امره فتعلقت به، فقلت: بالذي اسقط عنك هلاك التعب، ومنحك شدة لذيذ الرهب، الا ما لحقتني منك جناح رحمة وكنف رقة فاني ضال، فقال: لو صدق توكلك ما كنت ضالاً، ولكن ابتغي واقف اثري فلما ان صار تحت الشجرة اخذ بيدي وتخيل لي ان الارض يمتد من تحت قدمي فلما انفجر عمود الصبح قال لي: ابشر فهذه مكة، فسمعت الضجة ورأيت الحجة، فقلت له: بالذي ترجوه يوم الازفة يوم الفاقة من انت فقال: اذا اقسمت فانا علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب(١).

الم اقل لك انه كان ومضة نور شلال ايمان ــ قبس من وهج

---

(١) المصدرص ٤٠/ ٤١.

الرسالة .

كـان الظلام يخيم على طرقات المدينة وقد اوى الناس الى بيوتهم، والسماء تمطر ورياح الشتاء الباردة تعصف .. يقول : الزهري رأيته ــ عليه السلام ــ يمشي وعلى ظهره دقيق فقلت يابن رسول الله ما هذا ؟

قال عليه السلام اريد سفراً اعد له زاداً احمله الى موضع حريز .

فقال الزهري : فهذا غلامي يحمله عنك ، فأبى (عليه السلام).

فقال الزهري : انا احمله عنك فأني ارفعك (واجلك) عن حمله .

فقال علي بن الحسين ــ عليه السلام ــ : لكني لا ارفع نفسي (ولا اجل نفسي) عما ينجيني في سفري، و يحسن ورودي على ما ارد عليه . (واضاف الامام قائلا) اسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتني . فانصرف عنه ، فلما كان بعد ايام قال له يابن رسول الله لست ارى لذلك السفر الذي ذكرته اثرا .

قال : بلى يا زهري ! ليس ما ظننت ، ولكنه الموت وله استعد، (واضاف الامام لبيان هدف حمله تلك البضاعة في الليل الى بيوت الفقراء) انما الاستعداد للموت تجنب الحرام، و بذل النفوس في الخير .. (١)

(١) المصدرص ٤٩ .

ان جذور شخصية الامام زين العابدين تمتد في افق معرفته بالله و يقينه باليوم الآخر، ووعيه للسرعة الخاطفة التي تبتلع ساعات الليل والنهار عمر البشر، وتزاحم الواجبات عليه !

حينما يسأله رجل كيف اصبحت يابن رسول الله يقول : (اصبحت مطلوبا بثمان : الله يطلبني بالفرائض ، والنبي (ص) بالسنة ، والعيال بالقوت ، والنفس بالشهوة ، والشيطان باتباعه ، والحافظان بصدق العمل ، وملك الموت بالروح ، والقبر بالجسد) .

فانا بين هذه الخصال مطلوب(١)

انه كان مثلاً رائعاً للآية الكريمة :

«الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار» (٢)

لقد احب الله حتى فاضت على شفاهه روافد الحب في صورة ابتهالات ومناجاة سجل التاريخ جزءً بسيطاً جداً منها في صحيفته المعروفة بـ(السجادية) لنستمع إلى هذ الرائعة التي نبهر الأبصار.

---

(١) في رحاب ائمة اهل البيت ج ٣ ص ٢٣٤ .
(٢) آل عمران / ١٩١ .

«فقد انقطعت اليك همتي، وانصرفت نحوك رغبتي، فأنتَ لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرة عيني، ووصلك منى نفسي، واليك شوقي، وفي محبتك ولهي، وإلى هواك صبابتي، ورضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبي، وقربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك روحي وراحتي، وعندك دواء علتي، وشفاء غلتي، وبرد لوعتي، وكشف كربتي، فكن أنيسي في وحشتي، ومقيل عثرتي، وغافر زلتي، وقابل توبتي، ومجيب دعوتي، ووليّ عصمتي، ومغني فاقتي، ولا تقطعني عنك، ولا تبعدني منك، يانعيمي وجنتي، ويادنياي وآخرتي، ياأرحم الراحمين»(١)

أيُّ قلبٍ مفعمٍ بالايمان هذا الذي يفيض بهذه الكلمات المضيئة، أي فؤاد ملتهب بشوق الله متيم بحب الله يشع بهذه المناجاة؛ إنّه قلب ذلك الإمام الذي كانت الصلاة احب الامور اليه، وكان الذكر شغله الشاغل والعبادة صبغة حياته!

فقد دخل على الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان فاستعظم عبد

---

(١) مفاتيح الجنان / ص ١٢٤ .

الملك ما رأى من اثر السجود بين عيني علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ فقال : يا ابا محمد لقد بين عليك الاجتهاد ، ولقد سبق لك من الله الحسنى وانت بضعة من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قريب النسب وكيد السبب ، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك ، ولقد أُتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك الا من مضى من سلفك ، واقبل يثني عليه و يطريه ، قال : فقال علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ :

« كلّما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم يا أمير المؤمنين ؟ كان رسول الله (ص) يقف في الصلاة حتى تورّمت قدماه ، و يظمأ في الصيام حتى يعصب فوه ، فقيل له : يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول (ص) افلا اكون عبداً شكوراً ، الحمد لله على ما اولى وابلى ، وله الحمد في الآخرة والاولى ، والله لو تقطعت اعضائي ، وسالت مقلتاي على صدري ، لن اقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا تحصيها العادون ، ولا يبلغ حد نعمة منها على جميع حمد الحامدين ،

لا والله او يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره. في ليل ولا نهار، ولا سر ولا علانية، ولولا ان لأهلي علي حقاً، ولسائر الناس من خاصهم وعامهم علي حقوقاً لا يسعني الا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى اوديها اليهم لرميتُ بطرفي الى السماء، وبقلبي الى الله، ثم لم اردهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين.

وبكى (ع) وبكى عبد الملك وقال: شتان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها، وبين من طلب الدنيا من اين جاءته ماله في الآخرة من خلاق، ثم اقبل يسأله عن حاجاته وعما قصد له فشفّعه فيمن شفع، ووصله بمال»(١).

وعندما يراه طاووس في اخريات الليل يطوف بالبيت الحرام يرى منه عجبا حتى يشفق عليه لنستمع اليه، يروي قصته:

رأيته يطوف من العشاء إلى سحر و يتعبد، فلمّا لم ير أحداً رمق السماء بطرفه، وقال:

«إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وابوابك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر

---

(١) بح / ص ٥٧.

لي وترحمني، وتريني وجه جدي محمد(ص) في عرصات القيامة» ثم بكى وقال : «وعزتك وجلالك ما اردت بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك اذ عصيتك وانا بك شاك ، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سوّلت لي نفسي، واعانني على ذلك سترك المرخى به علي، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من اعتصم إنْ قطعتَ حبلك عني؟ فواسوأتاه غداً من الوقوف بين يديك، اذا قيل للمخفين جوزوا، وللمثقلين حطوا، أمع المخفّين أجوز؟ أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم اتب، أما آن لي أن استحي من ربي ؟!».

ثم بكى وانشأ يقول :

أتحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي ثم أين محبّتي
أتيتُ بأعمالٍ قباحٍ رزيةٍ ... وما في الورى خلق جنى كجنايتي

ثم بكى وقال :

«سبحانك تُعْصَى كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تعص، تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك

الحاجة إليهم، وأنت ياسيدي الغني عنهم».

ثم خر إلى الأرض ساجداً، قال: فدنوتُ منه وشلتُ برأسه ووضعتُه على ركبتي وبكيتُ حتى جرت دموعي على خده، فاستوى جالساً وقال:

«من الذي أشغلني عن ذكر ربي؟»

فقلتُ: أنا طاووس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع؟

ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن علي وأُمك فاطمة الزهراء، وجدك رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ؟! قال: فالتفت إليّ وقال:

«هيهات هيهات يا طاووس دع عني حديث ابي وامي وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً، أما سمعتَ قوله تعالى: «فإذا نُفِخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون»؟ والله لا ينفعك غداً إلّا تقدمة تقدمها من عملٍ صالح» (١)

---

(١) قصته في المسجد الحرام مع طاووس.

ولانه احب الله فوّض اليه أمره وسلّم له اشد التسليم،، وهو ــ عليه السلام ــ يروي عن نفسه القصة التالية ؛ يقول :

«مرضتُ مرضاً شديداً فقال لي أبي : ما تشتهي ؟ فقلتُ : اشتهي أنْ أكون ممن لا أقترح على الله ربي ما يدبره لي ؟ فقال لي : أحسنتَ ، ضاهيتَ إبراهيم الخليل ــ صلوات الله عليه ــ حيث قال جبرئيل(١) هل من حاجة فقال : لا أقترح على ربي ، بل حسبي الله ونعم الوكيل»(٢) .

وهكذا احبه الله واكرمه ورفع شأنه واجرى على يديه تقديره والزم الناس ولايته .

والقصة التالية تعكس مدى حب الله للامام زين العابدين ــ عليه السلام ــ :

القصة يرويها طائفة من عباد البصرة وفقهاؤها .. وهم ثابت البناني ، وايوب السجستاني ، وصالح المري ، وعتبة الغلام ، وحبيب الفارسي ، ومالك بن دينار

---

(١) قال له ذلك عندما همّ الطغاة رميه في النار عبر المنجنيق .

(٢) المصدر/ ص ٦٧ .

ننقل فيما يلي نص ما جاء في هامش كتاب بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٥٠ عن هؤلاء العباد بالترتيب :

اولا / ثابت البناني : من التابعين وقد ترجمه ابو نعيم في حلية الاولياء (ج ٢ ص ٣١٨ الى ص ٣٣٣) فقال : ومنهم المتعبد الناحل ، المتهجد الذابل ، ابو محمد ثابت بن مسلم البناني وذكر انه اسند عن غير واحد من الصحابة منهم : ابن عمر ، وابن الزبير ، وشداد وانس . واكثر الرواية عنه ، وروي عنه جماعة من التابعين منهم : عطاء بن ابي رياح ، وداود ابن ابي هند ، وعلي بن زيد بن جدعان ، والاعمش وغيرهم .

ثانياً / ايوب السجستاني : من التابعين قال ابو نعيم في حلية الاولياء وقد ترجمه في (ج ٣ من ص ٣ الى ص ١٤) ومنهم فتى الفتيان ، سيد العباد والرهبان ، المنور باليقين والايمان السجستاني ايوب بن كيسان كان فقيها محجاجاً ، وناسكاً حجاجا ، عن الخلق آيسا ، و بالحق آنسا .

أسند ايوب عن انس بن مالك ، وعمرو بن سلمة الجرمي ، ومن قدماء التابعين ، عن ابي عثمان الهندي ، وابي رجاء العطاردي ، وابي العالية ، والحسن ، وابن سيرين وابي قلابة .

وذكره الاردبيلي في جامع الرواة ج ١ ص ١١١ فقال : ايوب بن

ابي تميمة كيسان السختياني العنزي البصري كنيته ابو بكر مولى عمار بن ياسر، وكان عمار مولى فهو مولى مولى وكان يحلق شعره في كل سنة مرة، فاذا طال فرق مات بالطاعون بالبصرة سنة ١٣١.

ثالثا / صالح المري : هو ابن بشير وصفه ابو نعيم في الحلية (ج ٦ ص ١٦٥) بقوله : (القاري الدري، والواعظ التقي، ابو بشير صالح بن بشير المري، صاحب قراءة وشجن ومخافة وحزن، يحرك الاخيار، و يفرك الاشرار).

اسند عن الحسن، وثابت، وقتادة، و بكر بن عبد الله المزني، ومنصور بن زاذان وجعفر بن زيد، و يزيد الرقاشي، وميمون بن سياه، وابان بن ابي عياش، ومحمد بن زياد، وهشام بن حسان، والجريري، وقيس بن سعد، وخليد بن حسان في اخرين.

رابعاً / عتبة الغلام : هو الحر الهمام، المجلو من الظلام، المكلوء بالشهادة والكلام، قال عبيد الله بن محمد : عتبة الغلام هو عتبة بن ابان بن صمعة، مات قبل ابيه، وسئل رباح القيسي عن سبب تسمية عتبة بالغلام فقال : كان نصفا من الرجال، ولكنا كنا نسميه الغلام لانه كان في العبادة غلام رهان، استشهد وقتل في قرية الحباب في غزو الروم، ترجمه مفصلا ابو نعيم في الحلية (ج ٦ ص ٢٢٦ الى ٢٣٨).

خامساً / حبيب الفارسي، قال ابو نعيم في الحلية (ج ٦

ص ١٤٩) : ابو محمد الفارسي من ساكني البصرة، كان صاحب المكرمات، مجاب الدعوات، وكان سبب اقباله على الآجلة وانتقاله عن العاجلة، حضوره مجلس الحسن بن ابي الحسن فوقعت موعظته من قلبه .. وتصدق باربعين الفا في اربع دفعات .

سادساً / مالك بن دينار ابو يحيى وصفه ابو نعيم في الحلية بقوله : العارف النظار، الخائف الجبار.. كان لشهوات الدنيا تاركاً، وللنفس عند غلبتها مالكاً، وقد اطال في ذكره (ج ٢ من ص ٣٥٧ الى ص ٣٨٩).

«استجابة دعاءه عليه السلام»

عن ثابت البناني قال : كنت حاجا وجماعة عبّاد البصرة مثل ايوب السجستاني وصالح المري وعتبة الغلام وحبيب الفارسي ومالك بن دينار فلما ان دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً، وقد اشتد بالناس العطش لقلة الغيث، ففزع الينا أهل مكة والحجاج يسألونا ان نستسقي لهم، فاتينا الكعبة وطفنا بها ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها، فمنعنا الإجابة، فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد اقبل، قد اكربته احزانه، واقلقته اشجانه، فطاف بالكعبة أشواطاً، ثم اقبل علينا فقال : **يا مالك بن دينار، ويا ثابت البناني، ويا ايوب السجستاني، ويا صالح المري، ويا عتبة الغلام، ويا حبيب الفارسي، ويا سعد، ويا عمر، ويا صالح**

الاعمى، ويا رابعة، ويا سعدانه، ويا جعفر بن سليمان، فقلنا: لبيك وسعديك يا فتى فقال: **اما فيكم احد يحبه الرحمان؟** فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الاجابة، فقال: **ابعدوا من الكعبة، فلو كان فيكم احد يحبه الرحمان لأجابه**، ثم اتى الكعبة فخر ساجداً فسمعته يقول في سجوده: **سيدي بحبك لي إلّا سقيتهم الغيث**، قال: فما استتم الكلام حتى اتاهم الغيث كأفواه القرب، فقلت يا فتى: من اين علمت انه يحبك؟ قال: **لو لم يحبني لم يستزرني، فلما استزارني علمتُ أنّه يحبني فسألتُه بحبه لي فأجابني**، ثم ولى عنا وانشأ يقول:

من عرف الرب فلم يغنه ... معرفة الرب فذاك الشقي
ما ضرّ في الطاعة ما ناله ... في طاعة الله وماذا لقي
ما يصنع العبد بغير التقى ... والعز كلّ العز للمتقي

فقلت: يا اهل مكة من هذا الفتىٰ؟ قالوا: علي بن الحسين (ع) بن علي بن ابي طالب.

وعن المنهال بن عمرو في خبر قال: حججت فلقيت عليَّ بن الحسين عليهما السلام فقال: **ما فعل حرملة بن كاهل؟** قلت: تركته حيّاً بالكوفة، فرفع يديه ثمّ قال ـ عليه السلام ـ: **اللّهمّ أذقه حرّ الحديد، اللّهمّ أذقه حرّ النار**، فتوجّهت نحو المختار، فاذا بقوم يركضون و يقولون البشارة أيّها الأمير، قد أخذ حرملة، وقد كان توارى عنه، فأمر بقطع يديه ورجليه وحرقه بالنار.

وكان زين العابدين عليه السلام يدعو في كلّ يوم أن يريه الله قاتل أبيه مقتولاً، فلمّا قتل المختار قتلة الحسين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بعث برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد مع رسول من قبله إلى زين العابدين، وقال لرسوله: إنّه يصلّي من اللّيل، وإذا أصبح وصلّى صلاة الغداة هجع، ثمّ يقوم فيستاك و يؤتى بغدائه، فاذا أتيت بابه فاسأل عنه فاذا قيل لك: إنّ المائدة وضعت بين يديه فاستأذن عليه وضع الرأسين على مائدته، وقل له: المختار يقرأ عليك السلام و يقول لك: يا ابن رسول الله قد بلّغك الله ثارك ففعل الرّسول ذلك: فلمّا رأى زين العابدين ـ عليه السلام ـ الرأسين على مائدته خرّ ساجداً وقال:

«الحمد لله الّذي أجاب دعوتي وبلّغني ثاري من قتلة أبي، ودعا للمختار وجزّاه خيراً»(١)

حينما نعرف جانبا من شخصية الامام زين العابدين (ع)، ومدى تفانيه في ذات الله، وذوبانه في تيار حب الله، وخلوصه من شوائب المصلحة المادية نعرف ـ حينئذ ـ جانبا من حكمة الولاية، وذلك التأكيد الشديد عليها في نصوص الاسلام، فمثل ولاية الامام السجاد تصلح نفس الانسان وتتسامى في معارج الكمال، ان ولاية الانبياء والاوصياء تصبغ شخصية المجتمع المؤمن بصبغة الايمان وتيسر له العمل

(١) بحار الانوار/ج ٤٦ ص ٥١ ـ ٥٣ .

بتعاليم اولياء الله، والسعي وراء تمثيل شيخصياتهم الالهية، كما ان تلك الولاية تسقي روضة حب الله في افئدتهم وتصونها من الذبول لان حب اولياء الله يفيض من حب الله، وكما تفيض الروافد من نبع زخار، بل ان حب اولياء الله هو انبساط لحب الله، وامثلة له وشواهد عليه! وكيف يمكن ان يدعي احد انه يحب الله ثم لا يحب من هام في حب الله حتى بلغ ما بلغه الامام زين العابدين من العبادة والتهجد؟!

اولم يقل ربنا العزيز:

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)(١).

تعالوا: نغترف من نبع الله حب الله فيضا، تعالوا نحب اولياءه اكثر مما مضى، حتى تطهر افئدتنا من اهواء الدنيا ومن ادران حب اهلها اللئام.

---

(١) آل عمران / ٣١.

الفصل الثاني

● ميلاده وعصره

كان الامام زين العابدين في قلب الاحداث السياسية التي ساهمت في تكوين الامة الاسلامية، ورسم ملامحها التاريخية ..

لقد ولد الامام في بيت علي امير المؤمنين ــ عليه السلام ــ (من نجله الكريم الامام الحسين) عندما كان الامام يخوض صراعاً مريراً مع اعداء الاسلام المتسترين في الجمل والصفين والنهروان، وكان والده الحسين (ع) قائداً في جيش الاسلام ــ يومئذ ــ كما كان مضطلعاً مع ـ والده بادارة امور المسلمين ..

ولا ريب ان تلك الاحداث الرهيبة التي لا زالت اصداؤها تدوي في واقعنا حتى اليوم اي بعد اربعة عشر قرنا ولا ريب انها ساهمت في صنع شخصية الوليد الكريم الذي استقبله بيت الامامة في عام (٣٥) للهجرة الكريمة.. عندما كانت الامة الاسلامية تعيش غليانا انتهى بمقتل الخليفة الثالث، وما اعقبه من فتنة بني امية في المطالبة بدمه.

● ام السجاد

جاء في كتب التاريخ ان والدة الامام السجاد كانت (شهربانو) بنت اخر ملوك الفرس من سلسلة الساسانية (يزدجرد).

وكانت الامبراطورية الفارسية كاي نظام جاهلي آخر قائماً على الطبقية والظلم والعدوان، فلما اشرق نور الاسلام تهاوت كما تتهاوى شجرة منخورة امام اعصار عنيف، وانهزم الامبراطور من بلد لآخر حتى قتل غيلة في خراسان، وبقيت عائلته في تلك البلاد حتى فتحت على عهد عثمان في عام (٣٢) وجيء بهم الى المدينة المنورة، فلما مثلوا امام الخليفة الثالث وحضر كبار الاصحاب اشار الامام امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ الى الخليفة باكرامهم ورغّبه في ذلك بذكر حديث الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ:

«اكرموا عزيز قومٍ ذل»

ولعل الحكمة في ذلك كانت استمالة الشعوب التي لم تزل تحترم قيادتها وكرماءها لكي لا تبقى بينهم و بين قبول الاسلام حواجز الحقد والضغينة .

فلما تريث الخليفة في ذلك قال الامام امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ :

«اعتقتُ منهم لوجه الله حقي وحق بني هاشم»

وتبعه في ذلك الانصار والمهاجرون ، فلم ير الخليفة بدّاً من قبول الأمر ، فأشار الإمام أمير المؤمنين (ع) بأنْ يترك كل واحدة لاختيار الزوج المناسب ، فاختارت احدى بنات يزدجرد الحسين ـ عليه السلام ـ ، بينما اختارت الثانية الحسن وقيل محمد بن ابي بكر. فحملت شهر بانور في تلك السنة وفي منتصف شهر جمادي الاول لعام ثلاث وثلاثين من الهجرة ولدت ابنها البكر وماتت هي في نفاسها ، فتكفلته واحدة من امهات الولد عند الامام الحسين فنشأ زين العابدين في كنفها وكان يزعم الناس انها امه بينما كانت مولاته(١)

في السابعة من عمره استشهد جده الامام امير المؤمنين (ع) في

---

(١) اعتمدنا في بعض ما ذكرنا على رواية مأثورة عن الامام الرضا (ع) في بحار الانوار/ ج ٤٦ ص ٨ حيث ذكر ان حادثة اسر بنات يزدجر كانت في عهد عثمان خلافا لبعض الروايات التي ترى انها وقعت في عهد عمر وهي بعيدة عن السياق التاريخي لمجمل الاحداث كفتح خراسان وتاريخ ولادة الامام زين العابدين وما اشبه .

محراب الكوفة و بعد اشهر عاد اهل البيت الى المدينة حيث ترعرع علي بن الحسين (ع) في ربوعها المضوعة بعطر الرسول، فلما بلغ السابعة عشر اغتيل بالسم عمه الامام الحسن المجتبى.

وعاش الامام السجاد ـ عليه السلام ـ يمارس في ظلال والده الامام الحسين ـ عليه السلام ـ دور الريادة في مواجهة الردة الجاهلية الاموية.

و بالرغم من قلة المعلومات التي تفصّل طبيعة هذه المواجهة المتسمة بالهدوء وربما السرية، فان ما بقيت لنا من خطب الامام الحسين ـ عليه السلام ـ ضد معاوية، وكتبه النارية الموجهة اليه، وما رافقت عهد معاوية من انتفاضات بقيادة اصحاب الرسول الموالين لاهل بيته ـ عليه وعليهم صلوات الله ـ اقول: ان ما بقيت لنا من ذلك تعطينا صورة كافية للحالة السياسية التي عاشها الامام السجاد ايام والده حينما كان في مقتبل العمر.

● بعد عاشوراء

واني كانت قوة الحركة السياسية في عهد معاوية فانها كانت ناراً تحت رماد الهدوء السياسي الذي فرضه معاوبة على الساحة بدهائه المعروف و بوسائله المختلفة من توزيع الاموال والمناصب ثمنا لسكوت الطامعين وتوزيع العسل المسموم على الاحرار وقد اشتهر عنه القول: ان

لله جنوداً من عسل ..

وكانت التيارات السياسية تنتظر بفارغ الصبر هلاك معاو ية، ومن هنا اصبحت واقعة كربلاء صاعقاً فجر الثورات في افاق العالم الاسلامي، لانها جاءت في الوقت المناسب بعد هلاك وريث ابي سفيان، داهية العرب، فافتتحت عصر الثورات المناهضة للجاهلية المقنعة .

بعد شهادة السبط الشهيد ــ عليه السلام ــ انتفضت مدينة الرسول، وخلعت يزيد بن معاو ية، وقام عبدالله بن الزبير بمكة يطالب بالخلافة، وثارت الكوفة بقيادة سليمان بن صرد، ثم بقيادة المختار وهكذا اصبحت الثورات والانتفاضات صبغة الحياة السياسية في البلاد الاسلامية، واسلوبا شاخصا لمواجهة الطغيان والفساد .

وهكذا نستطيع ان نسمي عهد الامام السجاد خصوصا في بداياته ــ منذ واقعة عاشوراء ــ عهد الثورات والانتفاضات .

بيد ان الثورة بذاتها ليست هدفا مقدسا، انما الهدف المقدس تلك القيم المتسامية التي تحركها . والا فان ضررها يكون اكبر من نفعها اوليست الثورة بذاتها حالة تمرد على النظام وتعكير جو الامن، واثارة الاضطراب، واراقة الدماء، بلى . فهي ــ إذاً ــ حالة استثنائية لا يحمدها

العقلاء، ولكنها انما تكتسب شرعيتها وقدسيتها من تلك الغايات النبيلة التي تهدفها، فلأنها تخرج الناس من ظلمات الركود والجهل والظلم الى نور النشاط والعقل والعدالة، أصبحت الثورة ـ بمعناها الشامل ـ صبغة حياة الانبياء والاوصياء وعباد الله الابرار.

ولانها تزيل عن قلوب الناس رين الغفلة واللامبالاة وعن تجمعاتهم سحابة الظلم والاعتداء وعن مجتمعهم كابوس الطغيان والفساد، اصبحت مسؤولية كل حر ابي، ووسام حق لكل ذي كرامة وشرف..

ومن هنا ركزت نصوص الوحي على هدف الثورات ضمن تعبير «القيام لله» وقال ربنا سبحانه:

«قل إنّما أعظكم بواحدةٍ أنْ تقوموا لله» (١)

وقال:

«قوامين بالقسط شهداء لله»(٢)

وهكذا كانت الحالة الثورية التي عمّت افاق البلاد الاسلامية ببركة استشهاد الامام الحسين ـ عليه السلام ـ بحاجة الى هوية وصبغة،

---

(١) سبأ / ٤٦.

(٢) النساء / ١٣٥.

وروح، وقيم، لكي تتكرس في ضمير الامة ولا تصبح كشعلة السعف او زوبعة الفنجان لا تلبث ان تتلاشى .. ولكي تتخذ مسارا رساليا مستقيما ، ولا تصبح اداة بيد كل طامع او متهور كأمثال عبدالله بن الزبير الذين طفقوا يستفيدون منها بابشع صورة .

فهذا ابن الزبير يصعد المنبر بعد مقتل الامام الحسين فيثني عليه و يلعن قاتله و يخلع يزيد، ولكن عندما احس باستتباب الامر له اظهر عداءً شديداً لآل البيت ــ عليهم السلام ــ حتى انه ترك الصلاة على جدهم النبي لكي لا يشمخوا بانوفهم عند ذكره حسب قوله ..

فمن اجل الا تصبح الحالة الثورية مطية لكل من يهوى السلطة او يبحث عن مجد مثل ابن الزبير جاء الامام السجاد ــ عليه السلام ــ يعطي لتلك الحالة هويتها الرسالية، وصبغتها الالهية وروعهــا التي تمثلت في قيم الوحي ، وسبيلها القويم الذي رسمته شريعة الله.

ولعل هذا اعظم دور قيادي قام به الامام السجاد ــ عليه السلام ــ ولم يكن هذا الدور نابعا من حالة مزاجية عند الامام ــ عليه السلام ــ او لانه شاهد مثلا وقائع الطف الفضيعة فاصطبغت شخصيته بها ولم يملك الا البكاء والتفجّع والتبتّل والضراعة .

بلى . تلك الحادثة كان لها اثرها البالغ في شخصيته الكريمة ولكن

الامام المعصوم ــ عليه السلام ــ يقوم بواجبه الالهي وليس بما تمليه حالته النفسية والشاهد على ذلك ان الامام زين العابدين ــ عليه السلام ــ الذي اصطبغت شخصيته الكريمة بالتهجد والبكاء حمل رسالة عاشوراء بعد شهادة والده هو وعمته عقيلة الهاشميين زينب ــ عليها السلام ــ وماذا ادراك ما رسالة عاشوراء ! إنها رسالة الجرح الثائر، والدم المنتصر، والالم المتمرد، والانتفاضة التي لا تهدأ. أوَما سمعت خطبته اللاهبة في اهل الكوفة بعد ثلاثة ايام من فاجعة الطف كيف اثارت فيهم دفائن العطف، ونفضت عن افئدتهم غبار الرهبة والتردد فقالوا له : مرنا بأمرك فإنّا مطيعون لأمرك ، لنأخذن يزيد ونتبرأ ممن ظلمك وظلمنا.

ولكنه قال لهم :

«مسألتي الا تكونوا لنا ولا علينا»

دعنا نستمع معا الى فقرات من تلك الخطبة الثائرة :

اومأ الى الناس فسكتوا فحمد الله وصلى على النبي ثم قال :

«ايها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني اعرفه بنفسي، انا علي بن الحسين بن

علي، انا ابن المذبوح بشط الفرات، انا ابن من هتك حريمه، وانتهب ماله وسلب نعيمه، فبأية عين تنظرون بها رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ: اذا قال لكم قتلتم عترتي، وهتكتم حريمي فلستم من امتي» ثم بكى ــ عليه السلام ــ(١).

وعندما ادخل اسيرا على ابن زياد الطاغية الذي زعم انه انتصر على الخط الرسالى والى الابد، تحداه الامام ــ عليه السلام ــ وقال له :

«سوف نقف وتقفون، ونسأل وتسألون، فأيّ جواب تردون، وبخصام جدنا الى النار تقادون»(٢).

فلما همّ ابن زياد بقتله قال له الامام :

«أأنت تهددني بالقتل ؟ أما علمتَ أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة».

وكان موقفه من الطاغية يزيد ذلك المجرم الذي لم يدع جريمة شنيعة الا وارتكبها في سني حكمه القصيرة ، كان موقفه قمة في

---

(١) ناسخ التواريخ /ج ٢ ص ١٤٠ .

(٢) المصدر/ ص ١٤١ .

التحدي ومثلا اعلى في الجهاد بالكلمة الرافضة .

ومرة اخرى حينما نال خطيب يزيد في الجامع الاموي من آل بيت الرسول تصدى له الامام السجاد قائلاً :

«ويلك يا هذا الخاطب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوّء مقعدك من النار»

ثم التفت الى يزيد واستأذنه صعود المنبر فلم يجد يزيد بدأ من ذلك فلما تشرف به المنبر القى تلك الخطبة البليغة التي لا يزال صداها يدوّي في الافاق .

وحينما هدم طاغية العراق الحجاج بن يوسف الثقفي الكعبة تصدى له الامام وقال :

«يا حجاج عمدت الى بناء ابراهيم واسماعيل فألقيته في الطريق وانتهبته كأنك ترى أنّه تراث لك ، اصعد المنبر وانشد الناس ان لا يبقى احد منهم اخذ منه شيئاً الا رده»(١).

(١) عوالم العلوم / ج ١٨ ص ١٧٩ .

وهكذا كانت سجية الامام الشجاعة، ولكن الظروف التي عاشها الامام لم تكن تنقصها الثورة والشجاعة، لان واقعة الطف قد شحنت ضمير الامة من الشجاعة ما يكفيها لقرون متمادية وربما الى الابد انما كانت بحاجة الى صبغة ايمانية تسمو بالثورة الى اهدافها القيمة، وهكذا اتجه الامام اليها !!

فزعم السذج من الناس ان ذلك كان مزاجا شخصيا، كما زعموا في مثل ذلك في الانبياء فمنهم من قال: ان تضحية ابراهيم وصبر نوح، وحدة موسى وزهد عيسى وخلق محمد ــ عليهم جميعاً صلوات الله ــ، وسائر الصفات المتميزة لكل نبي من رسل الله ــ عليهم السلام ــ انما كانت سمات شخصياتهم، وحالاتهم المزاجية، ناسين ان الله اعلم حيث يجعل رسالته وانه لا يجعل رسالته الا حيث تقتضي حكمته. وان تلك الصفات التي تجلت لهم كانت ضرورية للظروف التي عاشوها والبشر الذين تعاملوا معهم. حتى لو افترضنا جدلا ان نبيا وضع في مقام نبي آخر تبنى سلوكه وعمل بمنهاجه، بلا اختلاف قليل او كثير.

وكما الانبياء كذلك الائمة كانت لكل واحد منهم صحيفة يعملون بها وكانت مرسومة ضمن السياق التاريخي الذي عاشوه. وحسب تلك الصحيفة الالهية عمل الامام السجاد، فكانت حياته قمة في العبادة والضراعة، وبث روح الايمان في المجتمع، وتربية رجال متميزين في

الـزهـد والتهجد، من امثال : الزهري ، وسعيد بن جبير، وعمر بن عبدالله السبيعي واخرين ..

هـكـذا رسـمت صحيفة السجاد ـ عليه السلام ـ منهاج امامته فيما يبدو في التركيز على الجانب الروحي على انه كان في طليعة مهام سائر الائـمـة ـ عليهم السلام ـ ، الا ان الحاجة اليه كان في عهد الامام زين الـعـابـديـن ـ عـليه السلام ـ اشد ولذلك كان التركيز عليه اعظم ولكن الـسؤال : كيف اضطلع الامام بهذه المهمة ؟ واي منهاج اتبعه لبلوغ هذا الهدف العظيم ؟

• منهاج الامام (ع) في التربية الروحية

لان ائـمـة الـهـدى هـم مـشاعل الحق للاجيال في كل عصر ومصر، ولان الـظـروف مـختلفة من جيل لاخر ومن مصر لمصر ثان ، ولان الله قد خـتـم بـالمصطفى رسالا ته، و بأوصيائه خلفاءه المعصومين ، فان حكمته اقـتـضـت ان تـكـون سـيـرة كـل واحد منهم متميزة بهدى ومنهاج لتكون مـجـمـل سـيـرهـم المتنوعة ذخيرة غنية يرجع الناس اليها ليأخذوا منها ما

يتناسب وظروفهم الخاصة ..

وكانت سيرة الامام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ الايمانية هي المنهاج المتناسب كليا وظروف مشابهة لظروفنا في بعض البلاد حيث حبانا الله بحالة ثورية تحتاج الى المزيد من الروح الايمانية حتى لا تخرج الحركة عن مسارها الديني ، ولا تفسد السياسة ومصالحها وحتمياتها النقاء الايماني الذي يحتاجه العاملون في سبيل الله .

فماذا كانت سيرته ، وما هو برنامجه ؟

اولا : كان عباد الله المخلصون دعاة الى الله بسلوكهم قبل ان يكونوا دعاة بألسنتهم ، فما امروا الناس بشيء الا وسبقوهم اليه .

وكانت حياة الامام لوحة ايمانية نقية وقد تحدثنا عنها في فصل اخر ، وقال عنه جابر بن عبدالله الانصاري الصحابي الشهير : ما رأيت في اولاد الأنبياء شخصا كعلي بن الحسين ـ عليه السلام ـ .

ثانياً : تربية جيل من العلماء الربانيين الذين ربوا بدورهم ـ علماء وثائرين وعباداً صالحين . وهكذا تماوجت تعاليم الامام عبر النفوس الزكية في خلقات مترامية كما صخرة عظيمة تلقى في بحر واسع ..

وكان في هؤلاء الرجال العرب والموالي ، ولكل قصة وتاريخ ، دعنا

نتزود من عبق سيرة حواري الامام الذين كان اكثرهم من التابعين :

الف / كان سعيد بن جبير من اولئك التابعين الذين اقتبس من الامام زين العابدين (ع) روح الايمان .. كان مثلا في العبادة والجهاد كان يسمى بـ (بصير العلماء) و يقرأ القرآن في ركعتين و بلغ من علمه انه اشتهر بين العلماء انه ما على الارض احد الا وهو محتاج الى علمه .(١)

واستشهد سعيد على يد طاغية العراق الحجاج و يقول الامام الصادق ـ عليه السلام ـ :

«ان سعيد بن جبير كان يأتم بعلي بن الحسين فكان علي يثني عليه. وما كان سبب قتل الحجاج له الا على هذا الامر، وكان مستقيماً».(٢)

ومن خلال حوار ساخن جرى بينه و بين جزار بني امية الزنيم نعرف مدى استقامة هذا العالم الرباني.

ذكر انه لما دخل على الحجاج بن يوسف قال له: انت شقي بن كسير.

---

(١) المصدر/ ص ٢٨٠ .

(٢) المصدر/ ص ١٨٢ .

قال : امي كانت اعرف بي سمتني سعيد بن جبير.

وقيل انه سأله كيف يفضل ان يقتله ؟ قال : اختر لنفسك ، قال وكيف ذلك ؟ قال : لأنه لا تقتلني بقتلة الا واقتلك بها يوم القيامة .

باء / وكان عمرو بن عبدالله السبيعي الهمداني والذي يكنى بـ(ابي اسحاق) كان من ثقاة الامام السجاد، و بلغ من عبادته ان قيل عنه لم يكن في زمانه اعبد منه حيث كان يختم القرآن في كل ليلة وقد صلى أربعين سنة صلاة الفجر بوضوء صلاة العتمة، وكان محدثاً لا اوثق منه في الرواية عند الخاص والعام.(١)

جيم / وكان الزهري عاملا في بلاط الامويين فعاقب رجلا فمات في العقوبة، فارتاعه ذلك فخرج على وجهه هائماً، واعتكف في غار تسع سنين، فرآه الامام السجاد(ع) وهو في طريقه إلى الحج، فقال له :

«إني أخاف عليك من قنوطك مالا أخاف عليك من ذنبك فابعث بدية مسلّمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك»

فقال له : فرّجت عني ياسيدي ، الله اعلم حيث يجعل رسالته ، ورجع الى بيته ، ولزم علي بن الحسين ، وكان يعد من اصحابه ، ولذلك

---

(١) عوالم العلوم /ج ١٨ ص ٢٨١ .

قال له بعض بني مروان : يا زهري ! ما فعل نبيك ، يعني علي بن الحسين(١).

ومن هذه الرواية نعرف كيف كان الله يهدي الناس بالامام حتى يصبح عامل بني امية من كبار العلماء المعروفين عند كل الفرق الاسلامية كالزهري.

دال / وكان سعيد بن المسيب بن حزن من كبار التابعين الذين رباهم أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ والتزم خط آل البيت ـ عليهم السلام ـ حتى كان من صفوة أصحاب الإمام السجّاد ـ عليه السلام ـ وعنه قال :

«سعيد بن المسيّب أعلم الناس بما تقدم من الآثار»(٢).

وقد قال رجل لسعيد يوما : ما رأيت رجلا اورع من فلان (وذكر اسم رجل من الناس) فقال له سعيد : فهل رأيت علي بن الحسين ؟ قال لا ، قال سعيد : ما رأيتُ رجلاً أورع منه(٣).

ومثل هؤلاء طائفة كبيرة من كبار علماء الاسلام الذين اخذوا من

(١) المصدر/ ص ٢٨٢ .
(٢) بحار الانوار/ج ٤٦ ص ١٣٣ .
(٣) عوالم العلوم/ج ١٨ ص ٢٨٣ .

الامام الزهد والتقوى، والتفسير والحكمة والفقه، حتى قال الشيخ المفيد: انه روى عنه الفقهاء من العلوم مالا يحصى كثرة وحفظ عنه من المواعظ والادعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والايام ما هو مشهور بين العلماء.. وقال ابن شهر اشوب: قلما يوجد كتاب زهد وموعظة لم يذكر فيه قال علي بن الحسين او قال زين العابدين (١).

وكان شديد الاحترام لطلبة العلوم الذين كانوا يتوافدون عليه في المدينة من اقطار العالم الاسلامي و يرى انهم وصية رسول الله.. وكان العلماء يستلهمون من سلوكه الهدى والورع قبل ان يتلقوا من منطقه العلم والمعرفة ومن لا يستلهم نور الله من تلك الطلعة الربانية من العين التي تفيض من خشية الله، والجبهة التي عليها ثفنات من اثر السجود من ذلك اللسان الذي لا يني يذكر الله.. و بالتالي من تلك السيرة التي يشع منها نور الله..

يذكر عبد الله بن الحسن فيقول: كانت امي فاطمة بنت الحسين تأمرني ان اجلس الى خالي علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ فما جلست اليه قط الا قمت بخير قد افدته، اما خشية لله محدث في قلبي لما ارى من خشيته لله، او علم قد استفدته منه (٢).

وكانت الفتوحات الاسلامية تطوي كل يوم بلد جديداً، وتضم الى

---

(١) في رحاب ائمة اهل البيت / ج ٣ ص ١٩٦.

(٢) المصدر / ص ١٩٦.

الجسد الاسلامي عضوا جديدا، ولكنها كانت بحاجة الى زخم ايماني يصهر مختلف الثقافات والتقاليد والمصالح في بوتقة الأمة الواحدة.

وقد تصدى الامام زين العابدين ـ عليه السلام ـ واصحابه وانصاره لهذه المسؤولية وبسبل شتى، فقد كان شديد الاحترام للموالي وهم المنتمون الى سائر الشعوب التي دخلت في الاسلام، بعد فتح البلاد لها، ولمّا تبلغ من المعارف الالهية نصيباً كافياً.

وكان كثير من الموالي من خيرة اصحاب الامام.. كما كان الامام يتبع منهجاً فريداً في زرع القيم الالهية في افئدة ثلة مختارة منهم.. حيث كان يشتري العبيد ويتعامل معهم بافضل طريقة ثم يعتقهم ويزودهم بما يوفر لهم الحياة الكريمة، فيكون كل واحد منهم ركيزة اعلامية بين بني قومه.. تعالوا نقرأ معا اخلاق الامام في تعامله مع مواليه قبل ان نعرف كيف كان يعتقهم، ان تلك الاخلاق الحسنة كانت مدرسة عملية لهم الى جانب التوجيه المباشر.

روي عن عبد الرزاق (أحد الرواة) انه قال: جعلت جارية لعلي بن الحسين ـ عليه السلام ـ تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجّه فرفع رأسه اليها فقالت له الجارية: إنّ الله يقول: «والكاظمين الغيظ» قال: **كظمت غيظي**، قالت: «والعافين عن الناس» قال لها: **عفا الله عنك**، قالت: «والله

يحب المحسنين » ، قال : اذهبي فأنت حرّة لوجه الله عزوجل(١).

هكذا كان يتعامل مع الرقيق الذين اعتبرهم بعض الناس ذلك اليوم ذات طبيعة غير طبيعة الانسان فكيف لا يؤثر فيهم ذلك الخلق الرفيع.

و يروي بعضهم القصة التالية التي تعكس مستوىً رفيعاً من الصفح والسماحة والإيثار تقول الرواية :

كان عنده ــ عليه السلام ــ قوم أضياف فاستعجل خادماً له بشواء كان في التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً فسقط السفود منه على رأس بني لعلي بن الحسين تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله ، فقال علي للغلام وقد تحير الغلام واضطرب : «أنتَ حر فإنك لم تعتمده» ، وأخذ في جهاز ابنه ودفنه(٢).

وكان له مولى يتولّى عمارة ضيعة له فجاء فأصاب فيها فساداً وتضييعاً كثيراً فغاظه ما رأى من ذلك وغمّه ، فقرع المولى بسوطٍ كان في يده وندم على ذلك ، فلما انصرف إلى منزله أرسل في طلب المولى فجاء فوجده عارياً والسوط بين يديه فظنّ أنه يريد عقوبته ، فاشتد خوفه ، فقال له علي بن الحسين :

---

(١) المصدر/ ص ١٩٨ .
(٢) المصدر/ ص ١٩٩ .

«قد كان مني اليك ما لم يتقدم مني مثله، وكانت هفوة وزلة، خذ ذلك السوط واقتص مني»

فقال : يا مولاي والله ان ظننت إلّا أنّك تريد عقوبتي وأنا مستحق للعقوبة، فكيف اقتص منك ؟! قال : **«ويحك اقتص ؟»** قال : معاذ الله أنت في حلٍّ وسعة، فكرر عليه ذلك مراراً والمولى يتعاظم قوله و يجلله، فلما لم يره يقتص قال له : **«اما إذا أبيتَ فالضيعة صدقة عليك»** (١).

هذه نماذج من الخلق الكريم الذي اتسم به سلوك الامام مع الموالي، وقد كان اسلوب عتق الامام لهم متميزا يرو يه التاريخ بجلال واعجاب فقد روى ابن طاووس في كتاب شهر رمضان المعروف بالاقبال بسنده عن الامام الصادق عليه السلام انه قال كان علي بن الحسين ــ عليه السلام ــ اذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبدا له ولا امة، وكان اذا اذنب العبد والامة يكتب عنده اذنب فلان اذنبت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه فاذا كان اخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم اظهر الكتاب ثم قال يا فلان فعلت كذا وكذا ولم اؤدبك اتذكر ذلك ؟ فيقول بلى يا ابن رسول الله. حتى يأتي على اخرهم

(١) المصدر.

و يقررهم جميعاً ثم يقوم وسطهم و يقول ارفعوا اصواتكم وقولوا : يا علي بن الحسين ان ربك قد احصى عليك كلما عملت كما احصيت علينا كلما عملنا ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وتجد كلما عملت لديه حاضرا كما وجدنا كلما عملنا لديك حاضراً فاعف واصفح يعف عنك المليك و يصفح فانه يقول وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم ، وهو ينادي بذلك على نفسه و يلقنهم و ينادون معه وهو واقف بينهم يبكي و يقول :

«ربنا انك امرتنا ان نعفوا عمن ظلمنا وقد عفونا عمن ظلمنا كما امرت فاعف عنا فانك اولى بذلك منا ومن المأمورين، الهي كرمت فاكرمني اذ كنت من سؤالك وجدت بالمعروف فاخلطني باهل نوالك يا كريم»

ثم يقبل عليهم فيقول قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ما كان مني اليكم من سوء ملكة فاني مليك سوء لئيم ظالم مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل ، فيقولون قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت ، فيقول لهم قولوا اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفا عنا واعتقه من النار كما اعتق رقابنا من الرق فيقولون ذلك فيقول اللهم آمين رب العالمين اذهبوا فقد عفوت عنكم واعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتي فاذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي

الناس، وما من سنة الاوكان يعتق فيها في اخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأسا الى اقل او اكثر، وكان يقول ان لله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار سبعين الف عتيق من النار كلا قد استوجب النار فاذا كان اخر ليلة من شهر رمضان اعتق فيها مثلما اعتق في جميعه واني لاحب ان يراني الله وقد اعتقت رقابا في ملكي في دار الدنيا رجاء ان يعتق رقبتي من النار، وما استخدم خادماً فوق حول، كان اذا ملك عبداً في اول السنة او في وسط السنة اذا كان ليلة الفطر اعتق واستبدل سواهم في الحول الثاني ثم اعتق، كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى، ولقد كان يشتري السودان وما به اليهم من حاجة يأتي بهم عرفات فيسد بهم تلك الفرج فاذا افاض امر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال.

الفصل الثالث

- دور الامام في الاعلام الرسالي

الاعلام هو الجهر بالدعوة الى الله والى تلك القيم التي يدعوا اليها الوحي ولعل الكلمة المرادفة له في المنطق الاسلامي «الاذان» واذا كانت الدعوة الى الله هي الركيزة الاولى لرسالات الله فأن الاعلام جانب اساسي منها :

ولقد كانت واقعة الطف الرهيبة الفجيعة واحدة من اعظم الا ثارات الاعلامية، اولم يقل السبط الشهيد انا قتيل العبرة ؟ اولم تتواتر عن ائمة اهل البيت ـ عليهم السلام ـ : فضل البكاء عليه وزيارة قبره والدعاء تحت قبته ؟

وهذا الدور الاعلامي الذي كان الهدف من استشهاد الامام الحسين عليه السلام اضطلع به الامام زين العابدين ـ عليه السلام ـ، ومعه البقية العائدة من كربلاء وبالذات عقيلة الهاشميين زينب الكبرى ـ عليها السلام ـ ..

وبقي الامام خمسا وثلاثين سنة قائما بهذا الدور حتى رسخ في ضمير الامة قواعد الاعلام الحسيني المبارك ..

الف / وكان اول واعظم وسائل الاعلام اظهار الجانب المأساوي لواقعة الطف لتبقى راسخة في ضمير الاجيال المتصاعدة، ولتكون شعلة متقدة في افئدة المؤمنين تستثير فيهم حوافز الخير والفضيلة وتدعوهم الى الاجتهاد والايثار، وليقولوا على مدى العصور ـ يا ليتنا كنا معك فنفوز فوزاً عظيماً وليكونوا ابداً جنود الحق المتفانين في سبيل الله لكي لا تتكرر فاجعة الطف مرة اخرى ـ او ليكونوا اذا وقعت مشاركين فيها بسهم واقي .

من هنا نجد الامام زين العابدين واحداً من البكائين الخمسة في عداد آدم و يعقوب و يوسف وفاطمة بنت محمد عليهم جميعاً صلوات الله .

لقد بقي باكيا بعد واقعة الطف ثلا ثا وثلا ثين عاما ، ما وضع امامه طعام الا وخنقته العبرة وقال : لقد قتل ابن بنت رسول الله جائعاً ، فاذا جيء اليه بشراب انهالت دموعه فيه وقال : لقد قتل ابن بنت رسول الله عطشاناً ، واذا مر على جزار استوقفه وسأله هل سقي الشاة ماء ثم طفق يبكي و يقول : لقد قتلوا سبط رسول الله ظامئاً على شط الفرات .

وقد ضج بكاءه مواليه واهل بيته . قال له احد مواليه مرة : جعلت فداك يابن رسول الله اني اخاف ان تكون من الهالكين ، قال : انما اشكو بثي وحزني

الىٰ الله، واعلم من الله مالا تعلمون، اني لم اذكر مصرع بني فاطمة الاخنقتني العبرة(١).

باء / ولم يكن البكاء الرسالة الوحيدة التي حملها زين العابدين الى التاريخ، فقد كانت رسالة الكلمة الثائرة هي المشكاة الصافية التي تشع من خلالها رسالة الكلمة، فمنذ الايام الاولى لملحمة كربلاء عملت كلمات آل البيت عليهم السلام وفي طليعتهم الامام السجاد والصديقة زينب الكبرى في هدم جدار الصمت والتردد والخوف في الكوفة وفي الشام ثم في المدينة المنورة.

وحينما فرق عامل يزيد «الاشدق» اهل البيت في البلاد الاسلامية خشية انتفاضة اهل المدينة حسب بعض الروايات التاريخية رفع لظلامة الحسين ـ عليه السلام ـ في كل حاضرة منبر وجهاز اعلامي مقتدر.

ومن اشهر خطب الامام ـ عليه السلام ـ تلك الرائعة التي اوردها في مسجد الشام، والتي تحتوي على منهاج المنبر الحسيني الذي لو اتبعناه، لكان ابلغ اثراً وانفذ في افئدة الناس، دعنا نتدبر في مفردات هذا المنهج قبل ان نستوحي معا نص الخطاب:

الف: حدد الامام اهداف المنبر اذ قال للخاطب الذي سبقه الى

---

(١) المصدر ص ٢٠٩.

المنبر : اشتريت مرضات المخلوق بسخط الخالق فتبوء مقعدك من النار.. وتوجه الى يزيد وقال له : اتأذن ان اصعد هذه الاعواد فاتكلم بكلام فيه لله رضا ولهؤلاء الجلساء نفع وثواب .

اذاً لابد ان تكون توجيهات الخطيب خالصة لوجه الله وان يبحث عما يرضي الله، وحتى ولو اسخط الطغاة، وان ينطق بما ينفع الناس لا بما يضرهم

باء : ثم بدء الحديث بذكر الله سبحانه وحذر الناس عقابه وذكرهم بالموت والفناء ولا ابلغ من الموت موعظة ولا من الفناء رادعاً .

وجاء في بعض الروايات ان الناس قد أجهشوا بالبكاء عندما اكمل الامام حديثه عن الآخرة، مما جعل قلوبهم خاشعة تستقبل ما بينه بعدئذ من البصائر السياسية.

جيم : وبين الامام خطه السياسي الابلج الذي ينتهي الى سيد المرسلين محمد واهل بيته المعصومين ــ صلّى الله عليه وعليهم اجمعين ــ واسهب في بيان صفاتهم التي هي المثل الاعلى في اليقين والاستقامة والجهاد.

دال : واشهر الامام ظلامة السبط الشهيد. وحملها راية حمراء تدعو الضمائر الحرة الى القيام من اجل الله وفي سبيل نصرة المظلومين ..

وهذه هذه اشد محاور المنبر الحسيني اثارة للعواطف وتهيجاً لكوامن الحزن والاسى .

هاء : و بعد ان امريزيد بان يقطع عليه المؤذن حديثه لم يترك الامام المنبر كما كان معهوداً وانما استوقفه عند الشهادة الثانية وحمل يزيد مسؤولية قتل والده مما يعني ـ في لغة العصر ـ وضع النقاط على الحروف . فلا يكفي للخطيب الحسيني ان يشير من بعيد الى الحقائق السياسية. بل لابد ان يصرح بها بوضوح حتى يتبصر الناس وتتم الحجة عليهم .

وهكذا استطاع الامام السجاد ـ عليه السلام ـ عبر هذا المنهاج الرائع ان يزلزل عرش يزيد زلزالا حتى تنصل من جريمته النكراء. وتوجه الى الجماهير الغاضبة التي كادت تبتلعه قائلاً : ايها الناس اتظنون اني قتلت الحسين ، فلعن الله من قتله عبيدالله بن زياد عاملي بالبصرة(١).

اما خطاب الامام الذي يبتغي ان يتخذ مثلا للخطب الحسينية . فهو التالي :

«ايها الناس احذركم الدنيا وما فيها، فانها دار زوال قد افنت القرون الماضية ، وهم كانوا اكثر

---

(١) المصدر/ ص ٢٠٩ .

منكم مالا واطول اعمارا، وقد اكل التراب جسومهم، وغير احوالهم، افتطمعون بعدهم، هيهات هيهات، فلابد من اللحوق والملتقى فتدبروا ما مضى من عمركم وما بقي، فافعلوا فيه ما سوف يلتقى عليكم بالاعمال الصالحة قبل انقضاء الاجل وفروغ الامل، فعن قريب تؤخذون من القصور الى القبور وبافعالكم تحاسبون، فكم ـ والله ـ من فاجر قد استكملت عليه الحسرات، وكم من عزيز قد وقع في مهالك الهلكات، حيث لا ينفع الندم، ولا يفات من ظلم .. ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احداً» (١).

قالوا : فضج الناس بالبكاء لبالغ اثر مواعظه في انفسهم ثم قال :

«ايها الناس اعطينا ستا وفضلنا بسبع: اعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بان منا النبي المختار محمداً، ومنا الصدّيق، ومنا الطيار، ومنا اسد الله واسد رسوله، ومنا سبطا هذه الامة، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي

---

(١) المصدر.

ونسبي .

ايها الناس انا ابن مكة ومنى، انا ابن زمزم والصفا، انا ابن من حمل الركن باطراف الرداء، انا ابن خير من ائتزر وارتدى، انا ابن خير من انتعل واحتفى، انا ابن خير من طاف وسعى، انا ابن خير من حج ولبى، انا ابن من حمل على البراق في الهواء، انا ابن من اسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى، انا ابن من بلغ به جبرئيل الى سدرة المنتهى، انا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى، انا ابن من صلى بملائكة السماء، انا ابن من اوحى اليه الجليل ما اوحى، انا ابن محمد المصطفى، انا ابن علي المرتضى، انا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا : لا اله الا الله .

انا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، و بايع البيعتين وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، انا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، و يعسوب المسلمين، ونور المجاهدين

وزين العابدين، وتاج البكائين، واصبر الصابرين، وافضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين، انا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، انا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، المجاهد اعداءه الناصبين وافخر من مشى من قريش اجمعين، واول من اجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، واول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، وولي امر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علمه.

سمح، سخي، بهي، بهلول، زكي، ابطحي، رضي، مقدام، همام، صابر، صوام، مهذب، قوام، قاطع الاصلاب، ومفرق الاحزاب، اربطهم عنانا، واثبتهم جنانا، وامضاهم عزيمة، واشدهم شكيمة، اسد باسل، يطحنهم في الحروب اذا ازدلفت الاسنة، وقربت الاعنة، طحن الرحا ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكي مدني خيفي عقبي بدري احدي

شجري مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين وابو السبطين: الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن ابيطالب.

ثم قال:

انا ابن فاطمة الزهراء، انا ابن سيدة النساء فلم يزل يقول: **انا انا**، حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد لعنه الله ان يكون فتنة فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام فلما قال المؤذن الله اكبر قال علي: **لا شيء اكبر من الله**، فلما قال: اشهد ان لا اله الا الله، قال علي بن الحسين: **شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي**، فلما قال المؤذن اشهد ان محمداً رسول الله التفت من فوق المنبر الى يزيد فقال: **محمد هذا جدي ام جدك يا يزيد؟ فان زعمت انه جدك فقد كذبت وكفرت، وان زعمت انه جدي فلم قتلت عترته؟** قال: وفرغ المؤذن من الاذان والاقامة وتقدم يزيد فصلى صلاة الظهر»(١).

(١) ناسخ التواريخ /ج ٢ في حياة الامام زين العابدين ص ٢٤١.

• الدعاء مدرسة ومنبر

لقد بعث الله الينا رسالته، ترى كيف نستجيب له، ونرد الى ربنا الرحمن التحية ؟

بالدعاء فانه منهج حديث العبد مع ربه كما ان الوحي ذروة حديث الرب مع عباده .

والدعاء مخ العبادة. ولباب التواصل وجوهر الصلاة. وكل دعاء حميد الا ان الله انعمه علينا حين علمنا كيف ندعوه بما قصه علينا في كتاب من ادعية اوليائه و بما اورثنا من ادعية النبي واهل بيته عليه وعليهم السلام و يبدو انها جميعا ادعية توارثها عباد الله من الانبياء ومن ثم من الوحي الالهي .. او لا اقل هي تجليات الوحي على افئدة الهداة من عباد الله المقربين ، وانعكاس لمعارف الوحي على قلوبهم الزكية والسنتهم الصادقة .

فالادعية المأثورة ــ اذاً ــ الوجه الاخر للوحي ، انه ظلاله الوارفة ، اشعته المنيرة، وتفسيراته وتأو يلا ته .

وهكذا كانت الادعية كنوز المعارف الربانية وتلاد الحكم التي لا تنفذ وفي طليعتها ادعية الصحف السجادية التي جمعت من كلمات الامام زين العابدين ــ عليه السلام ــ .

ماذا كان يهدف الامام من تلك الادعية؟ لا ريب انها كانت شعاعاً من قلبه المنير بالايمان، كانت فيضاً من فؤاده المتقد بحب الله، كانت الكلمات تتزاحم على شفاه رجل كاد يذوب في هيام ربه، ولم تكن تكلفا منه.

بلى قد حققت اهدافاً عديدة ابرزها تعلم عباد الله كيف يحدقون ربهم العظيم، وكيف يتضرعون اليه، و يتحببون اليه، و يلتمسون رضاه و يتوافون على اسمائه الحسنى، كيف يطلبون منه حوائجهم وماذا يطلبون؟

وهذا الهدف الرباني تفرع بدوره الى عدة امور حياتية يذكرها المؤرخون عادة عند بيان حكمة الصحيفة السجادية. ونحن نشير اليها باختصار شديد.

آ: ان الضغوط كانت بالغة الشدة في عهد الامام الى درجة ان عقيلة الهاشميين زينب الكبرى ـ عليها السلام ـ اصبحت لفترة وسيطة في شؤون الامامة بين الامام والمؤمنين، وفي مثل تلك الظروف العصيبة كان من الطبيعي ان يبث الامام بصائر الوحي وقيم الرسالة عبر الادعية التي مشت في الامة ولا تزال كما الشذى عند نسيم عليل!!

ب: والامام كثائر رباني لم يدع معارضة الطواغيت والفساد الذي

اوجدوه بسبب الظروف الصعبة بل عارضهم بالادعية التي لم تستطع اجهزة النظام برغم وقتها صد الامام عنها .

وهكذا اتم الله الحجة علينا ألآ ندع القيام ضد الطغاة بأية وسيلةٍ ممكنة حتى في اشد العصور ارهاباً وقمعاً .

ج : وكانت الادعية ــ الى ذلك ــ وسيلة تربية الناس على التقوى والفضيلة والايثار والجهاد مما تضمنت من مفاهيم متسامية، ومواعظ ربانية، فكان النخبة من ابناء الامة يتغذون عليها كما تتغذى فيه زاكية من اشعة الشمس ارأيت الحركات المعارضة كيف تحتاج الى زخم ثوري يدفع ابناءها قدما في طريق المعارضة كالنشرات السرية والجلسات الخاصة.

والشعارات والبيانات، فان تلك الصحف المطهرة كانت غذاءً رساليا لتلك النخبة المؤمنة في مواجهة النظام الاموي .

ولا تزال ادعية الامام التي جمعتها مجموعة كتب تسمى جميعاً بالصحيفة السجادية ونحن درجنا على تسميتها بالصحف السجادية لا تزال هذه الادعية ذلك الزخم الايماني الذي يوفر لنا الروح الايمانية في الايام العصيبة . ولا اظن ــ بعد القرآن ــ كتابا يكون تسلية لفؤاد المحرومين، وثورة في دماء المستضعفين ــ ونورا في افئدة المجاهدين

وهدى على طريق الثائرين ـ كما هي الصحف السجادية، فسلام الله على تلك الزكية التي فاضت بها وسلام الله على من تبتل بها مع كل صباح ومساء .

● الشعر منبر سيار

تناغم الحياة ينعكس في ضمير الانسان بحب اوزان الشعر ومعانيه البديعة . وكانت العرب في الجاهلية وفي العصور الاسلامية الاولى بالغة الاهتمام بالشعر. وقد مدح ربنا سبحانه في سورة الشعراء اولئك المؤمنين منهم الذين ينتصرون لمظلوم وقد اهتم ائمة الهدى ـ عليهم السلام ـ بالشعر كمنبر سيار يمشي بين الناس بانسياب . وكما ان الطغاة بدورهم استخدموا الشعراء مطية لاعلامهم المضلل وقد نظم الامام زين العابدين ـ عليه السلام ـ الشعر واشهر ما ينقل عنه تلك الرائعة التي يقول فيها :

نحن بنو المصطفى ذوو غصص ... يجرعها في الانام كاظمنا
عظيمة في الانام محنتنا ... اولنا مبتلى و آخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهم ... ونحن اعيادنا مآتمنا
والناس في الامن والسرور وما ... يأمن طول الزمان خائفنا
وما خصصنا به من الشرف الطا ... ئل بين الانام آفتنا
يحكم فينا والحكم فيه لنا ... جاحدنا حقنا وغاصبنا(١)

(١) بحار الانوار/ج ٤٥ ص ١٣٨ / ١٣٩ .

ونسب اليه ابن شهر اشوب في المناقب قوله :

لـكـم مـا تـدعـون بـغـير حق — اذا مـيز الـصـحـاح من المراض
عرفتهـم حقـنـا فـجحـدتـمونا — كـمـا عـرف الـسـواد من البياض
كـتـاب الله شاهـدنا علـيـكـم — وقـاضـيـنـا الالـه فـنـعـم قاض(١)

اما تـأيـيـده للشعراء المدافعين عن الحق، فنعرفه من خلال قصة مع الـفـرزدق الـذي كـان محسوبا على بلاط الامويين، الا انه كان ينتمي تـاريـخيـا الـى الـبـيـت الـعلوي فلما وجد فرصة فاضت قريحته بالرائعة الـمـعـروفـة فـلما غضب عليه هشام والسلطة الاموية واعتقل، بادر الامام بـجائزتـه وبقي الى اخر حياته يعيش في ظل الامامة الاسلامية حسبما يذكر بعض المؤرخين.

اما رائعته وقصتها . فهي التالية :

رواهـا الـسـبكي في طبقات الشافعية بسند، المتصل الى ابن عائشة عـبـد الله ابـن مـحـمـد عـن ابيه قال : حج هشام بن عبد الملك او الوليد فـطـاف بالبيت فجهد ان يصل الى الحجر فيستلمـه فلم يقدر عليه فنصب لـه مـنـبـراً وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه اهل الشام اذ اقبل علي بن الـحـسـين بن علي بن ابي طالب وكان من احسن الناس وجهاً واطيبهم ارجـاً فـطـاف بـالبيت فلما بلغ الحجر تنحى له الناس حتى يستلمه فقال

(١) في رحاب اهل البيت / ج ٣ ص ٢٤٩ .

رجل من اهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة، فقال هشام لا اعرفه مخافة ان يرغب فيه اهل الشام، وكان الفرزدق حاضراً فقال الفرزدق : ولكني اعرفه، قال الشامي من هو يا ابا فراس ؟ فقال الفرزدق وقد توافقت روايتا سبط ابن الجوزق والسبكي الا في ابيات يسيرة وهذا ما ذكراه :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرنه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
اذا رأته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهي الكرم
ان عد اهل التقى كانوا ذوي عدد ... او قيل من خير اهل الارض قيل هم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذ بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم
يغضي حياءاً و يغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم
ينمي الى ذروة العز التي قصرت ... عنها الاكف وعن ادراكها القدم
من جده دان فضل الانبياء له ... وفضل امته دانت له الامم
ينشق نور الهدى عن صبح غرته ... كالشمس تنجاب عن اشرافها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
الله شرفه قدما وفضله ... جرى بذاك له في لوحة القلم

كلتا يديه غياث عم نفعهما يستوكفان ولا يعروهما العدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه اثنان حسن الخلق والكرم
حمال اثقال اقوام اذا فدحوا رحب الفناء اريب حين يعتزم
ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم
عم البرية بالاحسان فانقشعت عنه الغيابة لا هلق ولا كهم
من معشر حبهم دين و بغضهم كفر وقر بهم ملجا ومعتصم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت والاسد اسد الشرى والرأي محتدم
لا ينقص العسر بسطا من اكفهم سيان ذلك ان اثروا وان عدموا
يستدفع السوء والبلوى بحبهم و يسترب به الاحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم خيم كريم وايد بالندى هضم
اي الخلائق ليست في رقابهم لاولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا الدين من بيت هذا ناله الامم

هذا علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب فغضب هشام وامر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة فبعث اليه علي بالف دينار فردها وقال : انما قلت ما قلت غضبا لله ولرسوله فما آخذ عليه اجرا فقال علي : نحن اهل بيت لا يعود الينا ما اعطينا فقبلها الفرزدق وهجا هشاما فقال :

يحسبني بين المدينة والتي — اليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد — وعينا له حولاء باد عيوبها

فاخبر هشام بذلك فاطلقه ولكنه قطع راتبه من الديوان، وكان الف دينار سنويا فاشتكى الى الامام فاعطاه اربعين الف دينار وقال له لو كنت تحتاج الى اكثر لاعطيتك فعاش الفرزدق اربعين عاما ثم مات رحمه الله.

• رسالة الحقوق

يبحث بعض الناس عن الدرجات العلى في الايمان و يتساءل: كيف اجتهد حتى اصبح مؤمنا حق الايمان ؟ لمثل هؤلاء كتب الامام زين العابدين ــ عليه السلام ــ رسالة الحقوق التي تشرح واجبات المؤمن ومسؤولياته تجاه الخالق والناس وتحدد بالتالي: طبيعة العلاقة القائمة على اسس متوازنة وعادلة وقد استهلّت الرسالة بما يلي:

«اعلم رحمك الله ان لله عليك حقوقا محيطة بك في كل حركة تحركتها، او سكنة سكنتها، او منزلة نزلتها، او جارحة قلبتها، او آلة تصرفت بها، بعضها اكبر من بعض، واكبر حقوق الله عليك ما اوجبه عليك نفسك من قرنك الى قدمك، على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك

عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الافعال، ثم جعل لأفعالك عليك حقوقاً، لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولافعالك عليك حقاً، ثم تخرج الحقوق منك الى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، واوجبها عليك حق أئمتك ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك»(١).

و يستمر الامام في بيان هذه الحقوق وفروعها و يبين من خلالها العلاقة المثلى بين الانسان و بين الخلق والخالق، ونستوحي من دراسة رسالة الحقوق البصائر التالية:

اولا: ان حديث الامام كان موجهاً للصفوة من اهل الايمان، الذين نشروا الكمال وسعوا اليه سعيه، لذلك تجد الحقوق المذكورة في هذه الرسالة تجمع بين الحقوق الواجبة والاخرى المندو بة. بل ان اكثرها من النوع الثاني.

---

(١) في رحاب ائمة اهل البيت /ج ٣ ص ٢١٦.

ثانيا : ان هذه الرسالة وامثالها التي نجدها عند ائمة اهل البيت في صيغة رسائل او وصايا مفصلة والتي جمعها العالم الكبير الحسن بن علي بن شعبه الحلبي في كتابه الفذ (تحف العقول) كانت بمثابة دروس مركزة في التربية الرسالية توارثهـا الصالحون من اولياء اهل البيت ـ عليهم السلام ـ بهدف بناء القدوات المثلى والطليعة المتميزة من ابنائهم ليكونوا شهداء على الناس.

وما احوجنا نحن المسلمين اليوم الى العودة اليها في مناهج التربية وبالذات في الحوزات العلمية التي هي الامتداد الرسالي لخط اهل البيت التربوي!

كذلك في التنظيمات الاسلامية، و بالذات السرية منها التي لو اتصلت بهذه الذخائر الايمانية استغنت عن كثير من الثقافات الهزيلة او الدخيلة كما استغنت عن اثارة ابنائها بالعصبيات والقبليات والصنميات التي ما جلبت الينا سوى الخسارة والدمار.

ثالثا : ان هذه الرسالة تحافظ على توازن الشخصية الايمانية وتصونها من التطرف نحو جانب من الشريعة واهمال سائر الجوانب، كلا لابد ان تتسع صدورنا لكافة ابعاد الشريعة، وضمن برامج محددة نجدها في مثل رسالة الحقوق.

وكلمة اخيرة :

ان هذه الرسالة تعكس البصيرة القرآنية ذات الشمول والعمق والدقة التي تتناسب ومقام الامامة لسيد الساجدين ـ عليه السلام ـ . والتي يعجز عن مثلها اي فقيه اوعالم ان لم يكن متصلا برافد الرسالة الذي لا ينضب فسلام الله على من ارسلها، و بارك الله لمن استجاب لها.

● كراماته وشهادته

استفاضت كتب الاثر بالحديث القدسي الذي ينطق عن رب العزة بالقول : **«عبدي أطعني تكن مثلي (اومثلي) أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون»**.

وكتاب ربنا العزيز حافل بامثلة واقعية من تاريخ الانبياء والصالحين الذين استجاب الله دعاءهم مما اعجز الناس. اليس طوفان نوح وسفينته، ونيران ابراهيم التي جعلها الله برداً وسلاماً ، وعصى موسى الذي القاه فجعله الله ثعباناً مبيناً ، وحديث عيسى في المهد صبياً ، واستجابة دعاء ابراهيم ثم زكريا حينما رزقهما الله اولاداً وقد بلغا من الكبر عتيا . أليس كل ذلك من كرامة الله لأوليائه المخلصين ؟. فلماذا يصعب على البعض تصديق كرامات اولياء الله الاخرين كما يصدقون بكرامات اولياء الله السابقين ؟ اوليس الحديث النبوي الشريف يقول :

«**علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل**» ، فكيف تصدق المعجزة على عهد بني اسرائيل بنص القرآن ولا تأتي الكرامة على يد أهل بيت الرسول ؟

وذلك علي بن الحسين ــ عليه السلام ــ قرأنا معاً بعض صفاته . أرأيت يعز على الله سبحانه ان يجري على يديه الكرامات ومن اولى بها ممن كان على مثل تلك الصفات .. قوّام الليل ، صوّام النهار، بكّاء ، سجّاد و.. و..

ونحن اذ نقتطف من تاريخه ــ عليه السلام ــ نزرا يسيراً من كراماته فلكي نزداد يقيناً بان ربنا يستجيب دعوة المخلصين من عباده الذين جأروا الى ربهم بكل كيانهم وابعاد وجودهم .. ثم نزداد للأئمة من اهل البيت ــ عليهم السلام ــ حباً . أوَليس حبهم نجاة من النار ووسيلة الى الله ؟

١ / من كراماته ان الله ألهمه من علمه عبر رؤ يا شاهد رسول الله فيها، والقصة كما يلي :

روي عن الامام الصادق ــ عليه السلام ــ انه قال :

«لمّا وُلي عبد الملك بن مروان الخلافة كتب الى الحجاج بن يوسف : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان امير المؤمنين الى الحجاج

بن يوسف ، اما بعد : فانظر دماء بني عبد المطلب فاحقنها واجتنبها ، فاني رأيت آل ابي سفيان لما ولعوا فيها لم يلبثوا الا قليلاً ، والسلام ، قال : وبعث بالكتاب سراً ، وورد الخبر على علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ ساعة كتب الكتاب وبعث به الى الحجاج ، فقيل له : إنّ عبد الملك قد كتب الى الحجاج كذا وكذا ، وان الله قد شكر له ذلك ، وثبت ملكه وزاده برهة ، قال : فكتب علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ : بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الملك بن مروان امير المؤمنين من علي بن الحسين بن علي أما بعد : فإنك كتبت يوم كذا وكذا من ساعة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بكذا وكذا ، وان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أنبأني وخبرّني ، وان الله قد شكر لك ذلك وثبت ملكك وزادك فيه برهة ، وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له على بعيره وامره ان يوصله الى عبد الملك ساعة يقدم عليه ، فلما قدم الغلام أوصل الكتاب الى عبد الملك ، فلما نظر في تاريخ الكتاب وجده موافقاً لتلك الساعة التي كتب فيها الى الحجاج ، فلم

يشك في صدق علي ابن الحسين ـ عليه السلام ـ وفرح فرحاً شديداً، وبعث الى علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ بوقر راحلته دراهم ثواباً لما سرّة من الكتاب»(١).

٢ / كذلك قصته مع أبو خالد الكابلي والتي يرويها الامام الباقر ـ عليه السلام ـ كالتالي:

«كان ابو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفية دهراً (وهو ابن الامام علي وعم الامام السجاد) وما كان يشك في انه امام حتى اتاه ذات يوم، فقال له: جعلت فداك ان لي حرمة ومودة وانقطاعا فأسألك بحرمة رسول الله (ص) وامير المؤمنين (ع) الا اخبرتني انت الامام الذي فرض الله طاعته على خلقه؟ قال: فقال: يا ابا خالد حلّفتني بالعظيم، الامام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ عليّ وعليك وعلى كل مسلم، فأقبل ابو خالد لما ان سمع محمد ابن الحنفية وجاء الى علي بن الحسين (ع) فلما استأذن عليه اخبر ان ابا خالد بالباب، فأذن له، فلما دخل عليه ودنا منه، قال:

(١) بحار الانوار/ج ٤٦ ص ٤٤.

مرحباً يا كنكر ما كنت لنا بزائر ما بدا لك فينا ؟ فخر ابو خالد ساجداً شاكراً لله تعالى مما سمع من علي بن الحسين ــ عليه السلام ــ فقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت امامي، فقال له علي ــ عليه السلام ــ : وكيف عرفت امامك يا ابا خالد ؟ قال : انك دعوتني باسمي الذي سمتني به امي التي ولدتني، وقد كنت في عمياء من امري، ولقد خدمت محمد ابن الحنفية عمرا من عمري ولا اشك انه امام، حتى اذا كان قريبا سألته بحرمة الله تعالى وحرمة رسوله (ص) وبحرمة امير المؤمنين (ع) فارشدني اليك، وقال : هو الامام عليّ وعليك وعلى جميع خلق الله كلهم، ثم اذنت لي فجئت فدنوت منك وسميتني باسمي الذي سمتني امي، فعلمت انك الامام الذي فرض الله طاعته عليّ وعلى كل مسلم» (١)

٣ / و يذكر الشيخ الطوسي القصة التالية :

خرج علي بن الحسين ــ عليه السلام ــ الى مكة حاجّاً حتى انتهى الى وادٍ بين مكة والمدينة، فإذا هو برجل يقطع الطريق قال :

---

(١) المصدر / ص ٤٦ .

فقال لعلي انزل ، قال : **تريد ماذا؟** قال : اريد ان اقتلك واخذ ما معك ، قال : **فأنا اقاسمك ما معي وأحلك** ، قال : فقال اللص : لا ، قال : **فدع معي ما أتبلّغ به** ، فأبى ، قال : **فأين ربك ؟** قال : نائم ،قال: فإذا أسدان مقبلان بين يديه فأخذ هذا برأسه وهذا برجليه ، قال : **زعمتَ أنّ ربك عنك نائم**(١).

٤ / ومن كراماته ما ظهر عند وفاته ، فلقد توفي الامام بعد ان دس اليه الامويون السم في عام (٩٤) في شهر محرم في اليوم الخامس والعشرين ، وقيل في اليوم الثامن عشر ، وفي تلك السنة توفي طائفة من الفقهاء حتى سميت سنة الفقهاء .. ولست استبعد ان يكون النظام الاموي في عهد الوليد بن عبد الملك قد دس السم ألى المعارضين وفيهم كبار الفقهاء من امثال سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن جبير ، وجاء في التواريخ انه توفي في تلك السنة عامة فقهاء المدينة(٢).

وهل يعقل ان يموت كل الفقهاء في سنة واحدة وصدفةً علماً بان المعروف ان الامام السجاد استشهد متأثراً بالسم الذي دسه اليه عبد الملك بن مروان في ظروف غامضة .

واني كان فقد ظهرت عند وفاته كرامات منه ــ عليه السلام ــ فقد

---

(١) المصدر/ ص ٤١ .

(٢) المصدر/ ص ١٥٤ نقلا عن تذكرة الخواص / ص ١٨٧ (طبعة ايران) وعن تاريخ ابن عساكر.

أغمي عليه فبقي ساعة ثم رفع عنه الثوب ثم قال : «**الحمد لله الذي أورثنا الجنة نتبوّأ منها حيث نشاء فنعم أجر العاملين**» ثم قال : «**احفروا لي** (أي قبراً) **وابلغوا إلى الرسخ** (الثابت من الارض) **ثم مد الثوب عليه فمات**» (١)

وظهرت بعد وفاته الكرامة التي ينقلها سعيد بن المسيّب ، و بها نختم هذه الصفحات المشرقة بحياة الإمام زين العابدين ــ عليه السلام ــ :

روي عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وعبدالرزاق ، عن معمر ، عن علي بن زيد قال : قلت لسعيد بن المسيب انك اخبرتني ان علي بن الحسين النفس الزكية وانك لا تعرف له نظيرا ؟ قال : كذلك ، وما هو مجهول ما أقول فيه ، والله ما رؤي مثله ، قال علي بن زيد : فقلتُ : والله إنّ هذه الحجة الوكيدة عليك يا سعيد فلم لم تصلِّ على جنازته ؟ فقال : إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون الى مكة حتى يخرج علي بن الحسين ــ عليه السلام ــ فخرج وخرجنا معه ألف راكب ، فلمّا صرنا بالسقيا نزل فصلّى وسجد سجدة الشكر . .

وفي رواية الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : كان القوم لا يخرجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين سيد العابدين ، فخرج ــ عليه السلام ــ فخرجت معه فنزل في بعض المنازل فصلى ركعتين

---

(١) المصدر/ ص ١٥٣ .

فسبح في سجوده، فلم يبق شجر ولا مدر إلّا سبحوا معه، ففزعنا، فرفع رأسه وقال: **يا سعيد أفزعت؟** قلت: نعم يا ابن رسول الله، فقال: **هذا التسبيح الاعظم حدثني ابي عن جدي عن رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله وسلم ــ انه قال: لا تبقى الذنوب مع هذا التسبيح**، فقلت: علّمنا.

وفي رواية علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب أنّه: سبح في سجوده فلم يبق حوله شجرة ولا مدرة إلّا سبّحت بتسبيحه، ففزعت من ذلك وأصحابي، ثم قال: «**يا سعيد ان الله جل جلاله لما خلق جبرئيل الهمه هذا التسبيح فسبحت السماوات ومن فيهن لتسبيحه الاعظم، وهو إسم الله جل وعز الاكبر، يا سعيد اخبرني ابي الحسين، عن ابيه، عن رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله وسلّم ــ عن جبرئيل، عن الله جل جلاله انه قال: ما من عبد من عبادي آمن بي وصدق بك وصلى في مسجدك ركعتين على خلاء من الناس الا غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» فلم أر شاهداً افضل من علي بن الحسين ــ عليه السلام ــ حيث حدثني بهذا الحديث، فلما ان مات شهد جنازته البر والفاجر، واثنى عليه الصالح والطالح، وانهال يتبعونه حتى وضعت الجنازة فقلت: ان ادركت الركعتين يوما من الدهر فاليوم هو، ولم يبق الا رجل وامرأة، ثم خرجا الى الجنازة وثبت لاصلي فجاء تكبير من السماء فأجابه تكبير من الارض، واجابه تكبير من السماء فاجابه تكبير من الارض، ففزعت وسقطت على وجهي فكبر من في السماء سبعاً ومن في الارض سبعا

وصلى على علي بن الحسين ــ صلوات الله عليهما ــ ودخل الناس المسجد فلم ادرك الركعتين ولا الصلاة على علي بن الحسين ــ صلوات الله عليهما ــ فقلت : يا سعيد لو كنت انا لم اختر الا الصلاة على علي بن الحسين ، ان هذا لهو الخسران المبين ، فبكى سعيد ، ثم قال : ما اردت الا الخير ليتني كنت صلّيت عليه ، فإنه ما رؤي مثله(١) .

محمد تقي المدرسي

طهران

١ / صفر / ١٤١٠هـ

(١) المصدر/ ص ١٤٩ ــ ١٥٠ .



من هذا الكتاب

لقد كانت الحالة الثورية التي عمت آفاق البلاد الاسلامية ببركة استشهاد الامام الحسين(ع) بحاجة الى هو ية وصبغة وروح وقيم ، لكي تتكرس في ضمير الامة ولاتصبح كزو بعة الفنجان لاتلبث ان تتلاشى .. ولذلك جاء الامام السجاد ليعطي لتلك الحالة الثورية هو يتها الرسالية وصبغتها الالهية .


Princeton University Library
32101 059527497